

فإنه من المفهوم للجميع أن عدد أسماء الله الحسنى وردت في حديث أبي هريرة رضي الله عنه وأصله من غير تعداد في صحيح البخاري: (إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة) زادت رواية الترمذي تعديد هذه الأسماء على اختلاف في بعض الروايات زيادةً ونقصاناً.

وقد ذكر في «تيسير العزيز الحميد» وهو الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمّد بن عبد الوهاب رحمهم الله أن هذه الرواية مدرجة في الحديث وهي من جمع بعض العلماء والرواة اجتهاداً منهم، ولله سبحانه جل شأنه حكمة في خفائها عنّا لكي نجتهد في البحث عنها وجمعها فنكسب الأجر أولاً ثم المعرفة القلبية ثانياً.

- وهذا هو المقصود بالإحصاء وليس فقط عدها وحفظها بل فهمها والإيمان والدعاء بها...

والذي أنصح به إخواني من الذاكرين والمتعبّدين أن يدعوا بهذا الأسماء المحقّقة -

في الفقرة الأولى - وإن جاوزت المائة اسم، وأيضاً ما يلحقها من المضافات - في الفقرة الثانية - وهي: (أسماء الأفعال والمضافات) لأنه باستعمالها جميعها يكون قد مرَّ على التسعة والتسعين .. وهذا هو المقصود من الحثّ النبوي الشريف على إحصائها وليس المقصود أن نختار منها -اجتهاداً- تسعة وتسعين إسماً معيّنات، والسبب أن الثابت في الكتاب والسنة أكثر من تسعة وتسعين إسماً وأي اقتصار أو اختصار قد يجعلنا نسهو عن أسماء فُضلى يحب الله ورسوله أن ندعو بها من بين التسعة والتسعين.

فتأمل هذه الحقيقة واجتهد فيها حفظاً ودعاءً ورقية لنفسك ولأهل بيتك تظفر إن شاء الله تعالى بهذه الفضيلة.

الضوابط

في تمييز الأسماء الحسنى

الضابط الأول: معرفة معنى الأسماء الحسنى: **فالأسماء:** هي الأعلام الدالة على المسمّى والمعرّفة له. **والحسنى:** هي أحسن شيءٍ منها وأكرمه.

الثاني: وجوب الوقوف والتقيّد عند نصوص الكتاب والسنة لكون الأسماء توقيفية.

الثالث: أن تأتي الأسماء مستقلة في السياق والمعنى غير مرتبطةٍ أو متعلقة بشيء، وذلك مثل مجيئها مطلقة في آخر الآيات.

الرابع: أن الأسماء الثابتة لله تعالى قد تأتي مرتبطة بمعنى معين في بعض النصوص فمثلاً: الرحيم ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً﴾. الرقيب ﴿وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيباً﴾. العليم ﴿وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾.

الخامس: لا يشتق من صفات الأفعال أسماءٌ وليست كل صفة تدل على اسم وبعكس ذلك فإن الأسماء مشتملة على الصفات ودالة عليها.

السادس: أسماء الأفعال إذا جاءت مجرّدة لا تدل على الاسم إلا بدليل أو قرينة أخرى فمثلاً: نعد اسم (الخالق، الباريء، المصور) لورودها في آخر سورة الحشر في الأسماء الحسنى وهي قرينة دالة على ذلك. ولا نعدّ (فعّال لما يريد) لأن صيغة المبالغة (فعّال) جاءت مقيدة.

السابع والثامن: باب الدعاء وأيضاً باب الإخبار عن الله عز وجل أوسع من باب الأسماء فيجوز فيهما أسماء الأفعال، وصفات الأفعال ونحو ذلك كما ثبت في الكتاب والسنة الدعاء بـ: فالق الحب والنوى، منزل الكتاب، هازم الأحزاب، مجري السحاب، الصاحب في السفر والخليفة في الأهل.

وبعد ذكر هذه الضوابط نشرع بعون الله تعالى في تحقيق الأسماء الحسنى.

الفصل الأول

تحقيق الأسماء الحسنى

(أولاً): الأسماء الثابتة في القرآن العظيم، وفي السنة الشريفة، وأقسّمها إلى مجموعات، كمثل تقسيم الفصل الثاني ليسهل حفظها على طلاب العلم وهي بعون الله:

(الله) (الحيّ -القيّوم) (الربّ - البديع - الخلاّق -الخالق - الباريء - المصور) (الواحد - الأحد - الصمد) (الأول - الآخر) (الملك - المليك - مالك الملك) (ذو الرحمة - الرحمن - الرحيم) (القوي - العزيز - ذو القوة - المتين) (القاهر - الجبار - المهيمن - القهار) (القدير - المقتدر) (المقدم - المؤخر) (عالم الغيب - علاّم الغيوب) (العليم - الخبير - المحيط - الشهيد - الظاهر - الباطن - الرقيب) (السميع - البصير) (العظيم - الكبير - المتكبر - المجيد - ذو الجلال والإكرام) (العلي - الأعلى - ذو العرش - المتعال) (الحكم - الحق - المبين) (الغني - الحميد) (الحفيظ - الحسيب - المقيت) (القابض - الباسط) (البر - الواسع - ذو الطول - ذو الفضل

- الوهاب - الرزاق - الكريم - المنّان - الاكرم - الفتّاح - الشاكر - الشكور) (الغفور - التواب - الغفّار - الحليم - العفوّ - اللطيف) (الهادي - الحكيم) (الرؤوف - الحنّان) (الوليّ - القريب - الودود - المجيب) (الحييّ - الستير) (الجواد - الشافي) (الوكيل - النصير) (السيد - المولى) (السلام -المؤمن) (النور - الجميل) (السبُّوح - القدوس).

فهذان اسمان ومائة اسم من الأسماء الحسنى محققات، وقد زادت ثلاثة أسماء عن التسعة والتسعين. والذي في السنة النبوية من هذه الأسماء أربعة عشر وهي: ١- المقدم ٢- المؤخر ٣- القابض ٤- الباسط ٥- الحكم ٦- الحنان ٧- المنان ٨- السيد ٩- الجميل ١٠- الحييّ ١١- السِّتِّير ١٢- الجواد ١٣- الشافي ١٤- السبوح.

(**ثانيا**) ما يتبع الأسماء الحسنى مما ورد في الكتاب والسنة من الأسماء والمضافات ولا أجزم بكونه اسماً من أسماء الجلال، لكن لابد من ذكرها ومعرفتها لما اشتملت عليه من عظيم المعاني، ولأن العلم بها فرع عن علوم الكتاب والسنة.

أ- أسماء الأفعال وصيغ المبالغة ونحوها:

١- الإله ٢- الرازق ٣- الفاطر ٤- الفالق ٥- الجامع ٦- الغالب ٧- النّاصر ٨-الصادق ٩-العالم ١٠- القادر ١١- المحيي ١٢- الكافي ١٣- الحفيّ ١٤- الكفيل ١٥- الرّفيق ١٦- الطيّب ١٧- الطبيب ١٨- النظيف ١٩- المحسن ٢٠- المُعطي ٢١- المسعّر ٢٢- الوتر ٢٣- الأكبر.

ومن «الرّفيق» رقم (١٥) فما بعده هو في السنة النبوية الصحيحة وما قبله فهو في القرآن العظيم..

ب- الأسماء المضافة لمصدر أو إسم أو جمع أو غيره:

١- غافر الذنب ٢- قابل التوب ٣- شديد العقاب ٤- رفيع الدرجات ٥- سريع الحساب ٦- شديد المحال ٧- فالق الحب والنوى ٨- فالق الإصباح ٩- جامع الناس

(وقد تقدم بدون إضافة) ١٠- محي الموتى (وتقدم أيضاً بدون إضافة) ١١- جاعل الملائكة رسلاً ١٢- ملك الناس ١٣- إله الناس ١٤- منزل الكتاب ١٥- مجري السحاب ١٦- هازم الأحزاب.

والثلاثة عشر الأولى في القرآن الكريم، والثلاثة الأخيرة في السنة النبوية.

ج- المضاف إلى (ذي) من الأسماء الخمسة:

١- ذو الجبروت ٢- والملكوت ٣- والكبرياء ٤- والعظمة ٥- ذو الإنتقام ٦- ذو المعارج ٧- ذو المغفرة ٨- ذو العقاب الأليم.

والأربعة الأولى جاءت في دعاء الاستفتاح في الصلاة بصيغة العطف على «ذي الجبروت» والأربعة الأخرى في القرآن الكريم.

د- الإسم الذي يأتي: المصدر مضافاً إلى كلمة «أهل»:

١- أهل التقوى ٢- أهل المغفرة.

وهما في سورة المدثر في آخرها وليس لهما شبيه في القرآن.

هـ- أفعل التفضيل - أو (خير) أو (أحسن) مضافة إلى إسم الفاعل بصيغة الجمع:

١- أحكم الحاكمين ٢- أحسن الخالقين ٣- أسرع الحاسبين ٤- خير الفاصلين ٥- خير الغافرين ٦- خير الرازقين ٧- خير الحاكمين ٨- أرحم الراحمين ٩- خير الراحمين ١٠- خير الوارثين ١١- خير الناصرين ١٢- خير الفاتحين ١٣- خير المنزلين ١٤- خير الماكرين (على سبيل المقابلة) ١٥- خيرٌ حافظاً.

وهي موزّعة في آيات القرآن الكريم.

و- المضاف إلى اسم الجلالة (الرب) وهي:

١- ربّ المشرقين ٢- ربّ المغربين ٣- رب العالمين ٤- رب الناس ٥- رب الفلق ٦- رب العرش العظيم ٧- رب السماوات ورب الأرض ٨- رب المشارق والمغارب. والأوّلان في سورة الرحمن والتاليات في الفاتحة والمعوذات والثلاثة الأخيرة في المؤمنون وآخر سورة الجاثية وفي سورتي الصافات والقلم.

ز- إضافة الاسم إلى (السماوات والارض) لا يعني أن المركب من الإضافة اسم مثل:

١- رب السماوات والأرض (وقد تقدم) ٢- بديع السماوات والأرض ٣- نور السماوات والأرض ٤- فاطر السماوات والأرض ٥- عالم غيب السماوات والأرض ٦- قيّوم السماوات والأرض.

وفي رواية (قيّام السماوات والأرض) وهما واردان في السنّة في دعاء قيام الليل.

(تنبيه)

ما ورد في القرآن إخباراً عن الله سبحانه بصيغة الجمع لا يعتبر من الأسماء الحسنى بل هي صفة فعل مثل:

قوله سبحانه وتعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾ وقوله تعالى: ﴿فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلاَّ قَلِيلاً وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ سورة القصص. وقوله: ﴿إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَـٰذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزاً مِّنَ السَّمَاءِ﴾ سورة العنكبوت.

وقوله: ﴿أَمْ أَبْرَمُواْ أَمْراً فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ سورة الزخرف.

وقوله: ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ ﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ ﴿إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلاً﴾ سورة الدخان.

وقوله: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ * وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾ سورة الذاريات.

وفي سورة الواقعة ﴿أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ ﴿أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ﴾ ﴿أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ﴾.

أما قوله سبحانه في نفس الموضع: ﴿أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَم نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ فقد دلّ القرآن في موضع آخر في آخر سورة الحشر على أنه اسم من الأسماء الحسنى.

وقد توقفت في اسم الله (الجليل) رغم الميل القوي لصحته، وتوقفت أيضاً في اسم (المستعان) الوارد في آخر الأنبياء: ﴿وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ وفي قصة يوسف عليه السلام على لسان يعقوب عليه السلام: ﴿وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ وأيضاً توقفت في اسم (الديان) حتى يثبت في السنة النبوية برواية صحيحة ولا عيب في هذا التوقف عن الجزم خاصة في مجال أسماء الله الحسنى بل رأيت الشيخ الفاضل عبدالعزيز بن باز رحمه الله توقف في بعض الأسماء كما أشار إليه الأخ سعيد القحطاني في رسالته.

ومجموع هذه الأسماء المتقدمة بضع وسبعون إسماً وردت في الكتاب والسنة، وقد تكرر بعضها إفراداً وإضافة، وقد توقفت عن الجزم بأنها من الأسماء الحسنى ولم تأت مستقلة غير تابعة، خاصة أسماء الأفعال الواردة في فقرة (أ) وعددها ثلاثة وعشرون إسماً.

وأما الذي في الفقرات الستة التالية لفقرة (أ) فلم أرَ أحداً من أهل العلم[1] قعّد فيها قاعدة مستمرة أو سلك في عدّها منهجاً واضحاً أو مسلكاً جامعاً مطرداً.

---

(١) لشيخ الإسلام ابن تيمية رسالة مستقلة طبعت حديثاً ضمن المستدرك على مجموع الفتاوى (١/ ٤٣-٦٤) عن مخطوطة في الظاهرية، وهذا المستدرك طبع حديثاً في خمس مجلدات متوسطة بجمع الشيخ محمّد بن عبد الرحمن بن محمّد بن قاسم حفظه الله، وفي الرسالة جمع طيب لأسماء الله، والمؤلف مجدي أبو عريش ألف رسالته قبل نشر هذه الرسالة سنة ١٤١٨هـ فتنبه [المجلة].

ثالثاً: ما لم يرد في الكتاب والسنة الصحيحة ويظنه الناس اسماً وهـو كثير وفي بعضه مدخل للاجتهاد.

أ- الذي فيه مدخل للاجتهاد ما يلي:

١- المنعم ٢- المنتقم ٣- الخافض ٤- الرافع ٥-المعز ٦- المذل ٧- المبدئ ٨- المعيد ٩- المميت (ويأتي مقابل المحيي) ١٠- المانع (ويأتي مقابل المعطي) ١١- الضار ١٢- النافع.

وهذه كلها متقابلات المعاني قال أهل العلم: إنما يُدْعى الله بها مع بعضها فهو أجمل وأفضل، وأما ما دلت عليه من المعنى فهو صحيح جاء في الكتاب أو السنة ولكنها لم ترد اسماً، ويليها أيضاً:

١٣- الواجد ١٤- الماجد ١٥- المقسط ١٦- الجامع ١٧- الباقي ١٨- الدائم ١٩-المغيث ٢٠- المغني ٢١- الباعث ٢٢- المحصي ٢٣- العالي ٢٤- الوالي ٢٥- الرشيد ٢٦- الصبور ٢٧- الواهب ٢٨- الستّار ٢٩- المُعين ٣٠- القَائم ٣١- المُنير ٣٢- المُتجلي ٣٣- المُدبّر ٣٤- المعْبود ٣٥- القديم ٣٦- الصَّانع

ب- ما لا مدخل فيه للاجتهاد ولا مسوّغ له من الكتاب والسنة:

١- المتولي ٢- المقصود ٣- الفضيل ٤- الونيس ٥- الموجود ٦- الشفيع

وتوقفت أيضاً في اسمين هما: (الفرد - العدل) أسأل الله التوفيق والسداد.

سؤالان هامان:

جـ- ويبقي عندي ها هنا سؤالان:

الأول: هل يجوز تعبيد الاسم الشخصي لهذه الأسماء التي لم ترد في الكتاب والسنة مع أن معناها صحيح مطابق؟

الثاني: هل يجوز الدعاء بها؟ وهل لا يستعمل في الدعاء إلا الاسم؟ وما حكم التوسل بالصفات العلى. سواء بصيغة اسم الفاعل أو بصيغة المبالغة منه أو بصيغة اسم الفعل كقول الداعي: يا من فعل كذا وكذا؟

فالجواب: «أما السؤال الأول»: فالذي لا مدخل للاجتهاد فيه وهي الواردة في (ب) لا يجوز التعبيد لها وهو واضح، وفي الحديث الصحيح: (لا يقل أحدكم عبدي وأمتي وليقل فتاي وفتاتي وغلامي).

وأما الواردة في (أ) فالتسمية بها متفرعة عن تحقيق مدى ثبوتها، وما دام التحقيق عدم ثبوتها فلا أرى تعبيد الاسم لها سداً للذريعة أولاً، واحتياطاً في الدين ثانياً والله أعلم.

«وأما السؤال الثاني»: فالذي لا مدخل فيه للاجتهاد لا مجال للدعاء أو التوسل بها وهي الواردة في فقرة (ب).

وأما الذي فيه مدخل للاجتهاد وهي الواردة في (أ) فجائز وسائغ والله أعلم، فالدعاء بالأسماء والصفات والتوسل بها عبادة وتفصيل هذا في آخر الفصل الرابع من هذه الرسالة.

الفصل الثاني

شرح هذه الأسماء العظيمة وربط بعضها ببعض الربط القرآني المتناسق

أولاً: اسم ا لله

فهذا الاسم العظيم المفرد الذي لا يوصف به مخلوق ولا يجوز أن يطلق على غير الرب الأعلى.

- وغالباً ما يأتي متقدماً على غيره وتأتي بعده الأسماء الأخرى والصفات، فاقرأ آخر ثلاث آيات من سورة الحشر ﴿هُوَ اللهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ...﴾ الآيات واقرأ أول آية الكرسي ﴿اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ واقرأ أول آل عمران مثلها.

- ولم يأت تبعاً لغيره إلا نادراً وعلى سبيل البدل مثل قوله الكريم في سورة إبراهيم ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ * اللهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ...﴾ الآية.

- ومعنى «الله» نفس معنى «الإله» والأول أبلغ في معنى الألوهية. ومعنى الإله: المألوه كالكتاب يعني المكتوب... والمألوه الذي يأله الناس حباً وتعظيماً فغاية الحبّ وغاية التعظيم يجعل القلب يأله الربّ فيعبده تقرّباً إليه ولذلك فُسّرت الألوهية بالعبودية.

ثانياً: الحي - القيوم

وهذان الإسمان وردا في الحديث أنهما اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى، وسوف أفرده في الكلام في الفصل الرابع الأخير إن شاء الله تعالى.

ومعنى هذين الاسمين فريد وجليل فالحياة التي يتصف بها الله جلّ جلاله وعز أمره لا تشبهها حياة فهي الأزلية قِدماً والأبدية بقاءً، والقائمة بذاتها وهذا معنى القيّوم.

ويدخل في القيومية التي يتصف بها ربنا تبارك وتعالى إقامته للمخلوقات واعتمادها عليه في دورتها الحياتية.

ثالثاً: الربّ - البديع - الخالق - البارىء - المصوّر.

فهذه كلها من جميل ومحاسن أسمائه - وكلها جميل وحسن - وهي متضمنّة لنفس المعاني.

فالبديع: الذي يبدع الأشياء على غير مثال سابق.

الخالق: الذي يوجد الشيء ويشكّله كيفما يشاء وهذان معنيان.

والبارىء: الذي يبرأ ويخرج المخلوق إلى الحياة، ومادة البرء تدل على الإخراج والإيجاد.

والمصور: الذي يحسن تشكيل ما يجمعه.

الرب: فيه ثلاثة معان:

الأول: الخلق.

الثاني: الملك

الثالث: الذي يربّي الأشياء.

والمعنى شامل لهذه الثلاثة فسبحانه وسبحانه ما أعظم شأنه.

وأقرأ مدى نعمته عليك إذ يمتنّ فيقول جلّ وعز ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ فأنت من جميل ما أبدع الله وصوّر وربّى.

رابعاً: وإن الخالق البديع لا بد وأن يكون:الأول والآخر

لابد أن يكون الأول الذي خلق الخلق ولم يكن شيء قبله، وأن يكون الباقي الذي بيده الخلود ولا شيء بعده ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ ﴿وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾.

إن صفتي الأزلية والأبدية لله سبحانه متلازمتان مع كثير من صفات جلاله وعظمته وقدرته وقهره.

خامساً: الواحد - الأحد - الصمد أسماء الأحديّة والصمدية

فالأحد أبلغ في التعبير عن التوحيد من اسم الواحد ومثله معنى الفردية وهي التفرد فلا يُشارَك فيما انفرد به، وهي تشمل التوحّد في صفات كماله ونعوت جلاله التي نحن بصدد شرحها.

وتشمل التوحّد في إلهيته فليس يعبد إلا هو وبجميع أنواع العبادة وأخصها الدعاء والصلاة.

وهكذا ممكن أن ينقسم التوحيد إلى قسمين:

الأول: توحيد المعرفة لله وإثبات صفات الكمال له.

الثاني: توحيد التوجه إليه بالعبادة والتأله والقربات.

وأما الصمدية فهي بمعنيين:

أوّلهما: الذي لا جوف له وهو معنى صحيح.

ثانيهما: الصمد بمعنى المصمود، أي الذي يتوجه إليه المخلوقات كافة بالعبادة والحاجة وهو معنى أيضاً صحيح وأما تفسيره بالسيد فهو يرجع إلى المعنى السابق.

سادساً: الملك - مالك الملك - المليك

وهذا الملك جزء من الربوبية وهو دال على ملكية الرب لكل جزء في الكون فلا يخرج عن ملكه مخلوق.

وأبلغ منه التفصيل الجامع في «**مالك الملك**» فلا ملك إلا ويدينُ لملكه سبحانه بالذّل والتسليم وأخص منه في المعنى وبنفس الدلالة في قوة الملك اسم الله «**المليك**» سبحانه.

سابعاً: الرحمن - الرحيم وذو الرحمة

وسبحانه الذي تميّز بصفات الكمال ونعوت الجلال فهذان اسمان اقترنا والتصقا بالبسملة وغيرها وهو اقتران بليغ ليس فيه تكرار فالرحمن صفة عامة لذات الله جل وعز شأنه، شاملة في الوصف من جهة تعلق الرحمة بالراحم أو بالمرحوم، وسواء كانت الرحمة واقعة على مؤمن أو كافر عاقل أو غير عاقل.

أما صفة الرحيم فهي أخص من جهة تعلقها بالمرحوم لذلك ورد في الذكر الحكيم: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً﴾ ولا يصح في مثل هذا (رحماناً) والرحيم وصف يجوز إطلاقه على المخلوقين بخلاف الرحمن ومنه قوله سبحانه في آخر براءة: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

وكذلك أيضاً (ذو الرحمة) فهو وإن شابه اسم (الرحمن) في شمولية الرحمن من حيث تعلّقها فهو أخص منه من جهة صفة الذات، فهو صاحب الرحمة وهو أرحم الراحمين.

ثامناً: القوي - المتين، ذو القوة - العزيز

فتلك هي قوة الله التي خلقت فأحسنت وأمسكت السماوات والأرض أن تزولا.

وأما «المتين» فهي القوة الواثقة التي لا تتزعزع.

«وذو القوة» أبلغ من «القوي» في تحقيق معنى القوة «والعزيز» القوي الذي لا يغلب ولا ترام قوته، وهو يشبه معنى «المتين».

تاسعاً: القاهر - الجبار، المهيمن - القهار

ومعاني هذه الأسماء الحسنى الأربعة متفرع عن معنى القوة، والعزة، والمتانة.

فالقاهر: اسم فاعل من القهر وهو السيطرة والإذلال.

والقهار: صيغة مبالغة على وزن فعال من اسم الفاعل «القاهر».

والمهيمن: المسيطر على المخلوقات بأجناسها وهي سيطرة عامة ودائمة فلا تنقطع في الأزمنة وهي جزء من معنى الربوبية.

والجبروت: هي قهر إرادة الخلق بل وتطويع إرادتهم بحيث يكونوا مختارين، فلا يكون إلا ما يريد ولا في ملكه إلا ما يشاء.

فسبحان من قهر عبيده بالفناء والموت، وهيمن على سائر المخلوقات حتى أجابه حالهم وقالهم، مقرين بأنه هو الواحد القهار: ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾.

عاشراً: القدير - المقتدر

وصفة القدرة العليا لله سبحانه داخلة في مضمون الأسماء الواردة في الفقرتين السابقتين وإن كان فيها تميّز بليغ ودقيق في المعنى.

- فالقهر والجبر متعلقان بوقوع القوة على قوة وإرادة أخرى.
- والقوة والعزة وصف ذاتي دال على إتصاف الذات.
- وأما القدرة وبمعناها الذي تضمنته صيغتا المبالغة «القدير والمقتدر» فهي دالة على القدرة المستعدة لأي تحدّ وأي حاجةٍ فلا يعجزها شيء مما يعجز غيرها فسبحان الله الحكيم.

أحد عشر: المقدم - المؤخر

فالتقديم والتأخير في الكون هو الذي يملكه وحده، وهو التدبير ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ يونس ، فيقدم من يشاء ويؤخّر من يشاء ليس بمشيئة مجردة تتحكم، ولكن بحكمة عالية بليغة.

وهذا التقديم والتأخير يشمل معناها الإعزاز والإذلال في الدنيا كما يشمل التقديم الفاضل إليه وإلى طاعته والتأخير المخالف له.

وقد جاء هذان الاسمان في دعاء النـبي ﷺ (اللهـم اغفـرلي خطيئـتي وجهلـي وإسـرافي في أمري وما أنت أعلم به مني ... اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت ومـا أعلنـت، أنت المقدّم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير) وهو في الصحيحين ويتجلى أيضاً في هذا الدعاء مدى تواضعه ﷺ في تعبده لربه سبحانه إذ كان سيّد الأولـين والآخريـن عليـه الصـلاة والسلام.

اثنا عشر: عالم الغيب - علاّم الغيوب

لقد وصف نفسه سبحانه في آيات الحشر بـ ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّـهَادَةِ﴾ فهـو سـبحانه لا تخفى عليه خافية، بل إن الغيب تقدم في الآية على الشهادة، لأنه سـبحانه يسـتوي في علمه الغائب والحاضر.

و«العلاّم» صيغة مبالغة من عالم، وعلمه قد وسع كل شيء كرحمته سبحانه وتعالى.

ثالث عشر: العليم - الخبير، المحيط - الشهيد، الظاهر - الباطن، والرقيب

وهذه كلها دالّة على العلم الكامل والرقابة التامّة.

فالعليم: تام العلم وهي من صيغ المبالغة للعالم.

والخبير: هو العليم الذي له خبرة، وسرّ خبر الأمور عنده.

والمحيط: الذي أحاط بالمخلوقات علماً وقدرة فلا يخرج عن دائـرة قدرتـه وعلمـه شيء.

والظاهر: الذي ظهر علمه على كل شيء وعلا فوق كل شيء.

والباطن: الذي خبر بواطن الأمور فلا تغيب عنه أبداً.

والشهيد: الذي اطلع ويطلع علـى كـل شـيء ولا تؤثـر علـى اطلاعـه الحواجـز، وهومعنى:

الرقيب: وكلا الرقيب، والشهيد صيغة مبالغة لوصفيهما.

فسبحان من أحاط بكل شيء، ولا يحيطون به علماً.

رابع عشر: السميع - البصير

وهذان اسمان كريمان اقترنا ببعضهما وقلما افترقا في كتاب الله إلا أن يقترن السمع بالعلم فيأتي ﴿وَالله سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ لمناسبتهما فالسمع يدل على العلم وهو من لوازمه...

وأجمل آية ورد فيها هذا الاقتران الرفيع قوله جلّ وعز شأنه في سورة الشورى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾

خامس عشر: العظيم - الكبير - المتكبر - المجيد -ذو الجلال والاكرام

- فالله هو الكبير، والكبير هو الله.

وهو أكبر من كل شيء ولا شيء أكبر منه سبحانه.

- وهو «العظيم» فلا شيء أعظم منه وهذه العظمة شاملة لمعنى الكِبر وتزيد العظمة عليها جلال الصفات وفضلها على غيرها.

- والمجيد نحوه أي صاحب المجد الكبير وهو الجاه الكثير.

- وذو الجلال نحوه أيضاً بمعنى العظمة، وقد وصف نفسه سبحانه بالكرم كما سيأتي في اسمي «الكريم والأكرم» والكرم يشبه الجلال والمجد في الفضل على الغير.

لكن الفرق أن الكرم دال على الحسن وجمال المختار، والجلال والمجد يدلان على الجاه والعظمة ذات المهابة.

وبعد هذا الجلال وهذه المهابة لابد من وقفة تفهم لقضية الكبرياء لقد تعودنا في أدبنا الذي نتأدب به في حياتنا على ذم الكبرياء ومدح التواضع وأن هذا من القواعد

الأخلاقية الجليلة التي يمدح عليها حتى الملوك غير أن الأمر ها هنا جدّ مختلف فإن الكبرياء هي صفة مدح في حق الله العظيم وهي تزيده مجداً وجلالاً وهيبة.

إن من حق الذي تفرد بالخلق والربوبية والعبودية أن يتعالى ويتكبر ليكون له ما يستحق من المجد في نفسه والتمجيد من سائر خلقه.

وإن التواضع لا يأتي إلا بين المتشابهين والمتماثلين فلابد لأحدهم أن يعرف قدر نفسه ولا يتعالى على قرنائه مهما بلغت مرتبته في الدنيا، أما الله سبحانه جلّ شأنه فلا شبيه ولا مثيل ولا ندّ له.

وهناك سر آخر في هذه الكبرياء فإن أصحاب الجاه في الدنيا والمتكبرين لا يستطيعون سماع كلام الناس ولا رؤيتهم حتى يقابلوهم أما الله سبحانه وتعالى فهو المطلع على كل شيء وهو على كل شيء شهيد ولذلك قال بحقٍّ (العز إزاري والكبرياء ردائي فمن ينازعني عذبته).

سادس عشر: العلي - الأعلى، وذو العرش - المتعال

وهذه الصفة العظمى ولو أطلقنا عليها هذا الإسم مميزين لها عن غيرها لكنّا دقيقي التسمية والتعبير ألا وهي علو الله سبحانه على خلقه وهي دلالة هذين الإسمين الجليلين «العلي - والأعلى».

هذا العلو: علوّ في القدر والقهر والصفات وعلو في الذات على سائر المخلوقات قال جل وعز في سورة الأنعام ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾، «وذو العرش» صاحب العرش وهو الله سبحانه وتعالى وإنما أضيف العرش هذه الاضافة لعظم العرش وعظمة حملته من الملائكة الثمانية والذي يفوق الخيال البشري فالعرش أكبر من هذا الكون المشهود كله.

«والمتعال» متضمن أيضاً للمعنيين المتقدمين وهما: علوّ الذات على سائر المخلوقات. والثاني: هو التنزه والترفّع عن ما لا يليق بعظمته وجلاله ولذلك تقترن

دائماً بكلمة «تبارك» فتأتي «تبارك وتعالى» وتقترن أيضاً بكلمة «سبحانه» لنفس المقصد.

سابع عشر: الحكم - الحق - المبين

أسماءٌ حسنى متشابهات في معانيها البليغة.

فالحَكَمُ: الذي يحكم فيفصل في الحكم، وهو أبلغ من الحاكم.

والحق: الذي يمثل الحقائق ويقوم به جليلها، وكل ما هو باطل متنزه عنه سواء بفعله أو بصفته سبحانه، واسم الحكم وارد في السنة في حديث شريح بن هانىء ووفادته على النبي عليه الصلاة والسلام مع قومه وسمعهم يكنونه بأبي الحكم فقال له: (إن الله هو الحكم وإليه الحكم) والحديث صحيح وهو عند أبي داود وغيره.

والمبين: الذي يفصل الحق عن الباطل، وأهل الحق عن أهل الباطل ويظهر الحق على أعدائه: ﴿وأَنَّ الله هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾

ويدخل في معنى «المبين» أيضاً شدّة الوضوح والظهور فالله سبحانه وآيات الدلالة على وجوده وإعجازه وصفاته هي أوضح شيء كالشمس الساطعة ولا تعمى حقائقه إلا على أجهل الجهال.

ثامن عشر: الغني - الحميد

وهذان اقترنا ببعضهما لحكم قرآنية بليغة فهو الغني بذاته عن كل شيء سبحانه حتى عن حمد العباد له وإنما استحق الحمد كله لغناه العام وجلاله التام فهو «الحميد» - أي المحمود - لكثرة الثناء الواجب عليه وفي سورة الإسراء ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَـكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً﴾.

تاسع عشر: الحفيظ - الحسيب، المقيت

قال جل من قائل: ﴿فَاللهُ خَيْرٌ حَافِظاً وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾

إنه يحفظ عباده عندما ترميهم سهام البلاء، ويحفظ لهم الخير مثل ما حفظ لهم كتابه من التحريف وسنة نبيه - عليه أفضل الصلاة والسلام - من الكذّابين الدّاسّين وفي سورة الحجر المحكمة: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

«وهو الحفيظ» كثير الحفظ وحفظه ولا يضيع.

«وهو الحسيب» فحسابه تام ودقيق ولا يكرثه أو يثقله الحساب وسواء في ذلك إحصاؤه أو تنفيذه.

- وللحسيب معنى آخر مهم ألا وهو «الكافي» من الحسب وهو الوارد في آخر سورة الأنفال: ﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ اللهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ و ﴿يأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي كافيك وكافي من اتبعك من المؤمنين.

«وأما اسم الديان» -وقد توقفت في ثبوته في السنّة كما سبق- فمعناه الذي يدين كل إنسان بما عمل إن خيراً فخير وإن شراً فشر وهو من الإدانة فكما تدين تدان، وله معنى آخر وهو الذي تدين له العباد بالدين وهو العبادة قال عز وجل في أول سورة الزمر ﴿فَاعْبُدِ اللهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينِ * أَلاَ للهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ والدين هنا معناه العبادة.

وأما «المقيت» قال جل من قائل سبحانه: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتاً﴾ وقد فُسر بأكثر من معنى فمنه الذي جعل لكل شيء توقيتاً وتقديراً.

- ومنه الذي أحاطت قدرته بكل شيء فيحاسبه بحسابه.

- ومنه الذي يقوت المخلوقات بأقواتها، وكأن المعنيين الأولين أقرب إلى السياق

فإنه دالّ على الحساب والمجازاة ولذلك قال: ﴿عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ ولم يقل (لكل).

عشرون: القابض - الباسط:

اسمان متقابلان جميلان إذا تأملتهما يزيدانك شوقاً إلى رؤية صاحبهما ويملآن قلبك محبة له وإجلالاً قبل اللقاء... ودوام ذكرهما مع سائر الأسماء أجمل مغذٍ روحي يقي من الغفلات التي تقطع طريق السائرين إلى الله والذين يحبون أن يقرضوا حبيبهم الأعلى القرض الحسن: ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ الله قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً وَالله يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

وقال ﷺ في حديث النهي عن التسعير (إن الله هو القابض الباسط) سبحانه جل شأنه.

واحد وعشرون: البر - الواسع - ذو الطول - الوهّاب - الرزاق - الكريم - المنان - الأكرم - الفتاح - الشاكر - الشكور

«فالبر» الذي يعمل البر وهو اسم جامع لخير الأقوال والأعمال ويعني ذلك عمله وتعدّيه واسداؤه إلى الغير كافة.

«الواسع» في خزائنه والتي هي خزائن الرزق والفتح وخزائن الرحمات.

«و ذو الطول» أي ذو السعة والفضل فهو كثير العطاء، ولا ينتهي عطاؤه سعة، وقد وردت في أول سورة غافر ﴿غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾. وذو الفضل بمعناه.

«والوهاب» الذي يهب الكثير -وهو صيغة مبالغة من واهب- وهو سبحانه يهب الأموال، والعطيّات، ويهب الأخلاق المليحات، ويهب المواهب المبدعة.

ومن بديع اقتران الوهّاب بغيره من الأسماء اقترانه باسم العزيز مثل قوله تعالى في

سورة (ص): ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾.

ويعني هذا الاقتران البليغ أنه يهب ويعطي عن عزة وقوة لا عن حاجة ما أو عن ضعف سبحانه جل شأنه.

«والرزاق» صيغة مبالغة من الرازق وهي تشمل رزق المال والطعام، ورزق الدين والهداية ومن السياق القرآني البليغ ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ * إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ آخر الذاريات.

«والكريم» وتقدمت الإشارة إليه في «الرابع عشر» وهو بمعني الحسن أي أحسن شيء تختاره هو الكريم وفي معناه أيضاً كرم العطاء فعطاؤه جزيل لا ينفذ وهو أكرم الأكرمين.

«والمنان» الذي يمن على عباده بما أنعم عليهم من نعم الدنيا والدين ومِنّته في الدين على المؤمنين أكثر من غيرهم لعظم نعمة الهداية.

«والأكرم» هو أفضل الكرماء وتقدم معناه.

«والفتاح» صيغة مبالغة من الفتح، وهو فتح أبواب الخير على العباد، وتشمل الرزق الدنيوي، ورزق الهداية ورزق النصر أيضاً، لذلك جاء السياق في سورة سبأ في هذا المعنى وهذه المعاني حيث يقول جل شأنه ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾.

«وهو الشاكر والشكور» الذي يشكر سعي عباده فلا يُهضم لهم حق ولا أجر فاقرأ معي في سورة فاطر ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلاَنِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ * لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ واقرأ في طه الحكيمة ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلاَ يَخَافُ ظُلْماً وَلاَ هَضْماً﴾.

اثنان وعشرون: ومن شكره ولطفه بعباده سبحانه أنه يقابل توبتهم بالقبول وذنبهم بالمغفرة والعفو وعيبهم بالستر وجهلهم بالحلم فمن أسمائه: «التواب - الغفور، العفوّ - الغفار، اللطيف - الحليم».

ومعانيها واضحة ومتقاربة.

- ومن جميل اقترانها اقتران التواب بالرحيم والحكيم فمن ذلك في سورة النور ﴿ولَوْلاَ فَضْلُ الله عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ الله تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ .

- وفي سورة التوبة ﴿أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ الله هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ الله هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ .

- ومن جميل الاقتران اقتران «الغفار والعزيز» وفي ضمنه أنه يغفر عن عزة وقوة ويشبهه اقتران «العزيز بالوهاب» السابق.

«واللطيف» وهو من جميل أسمائه -وكلها جميلة- ومعناه التخفيف، فهو سبحانه الذي يلطف بهم عندما تحيق بهم الأخطار، أو عندما يبتليهم بحكمة الأقدار.

«والحليم» سبحانه فلا أحد أحلم منه ولا أصبر على أحد، فهم يسبونه ويشركون به ويعصونه وهو يعافيهم ويرزقهم كما جاء في الحديث.

ثلاث وعشرون: الهادي الحكيم

ويحمل في طية هذا الاسم -الهادي- أعظم نعمة أنعم الله بها على عباده بعد خلقهم فإن الهداية هي الحياة والنور، والضلال والكفر هو الموت والعمى.

فالهداية هي الإحياء على الحقيقة وهي الشفاء على التحقيق فاللهم اهدنا واهد بنا واجعلنا قدوة في المهتدين. آمين.

ومن حكمته البالغة أنه تَسمّى «بالحكيم» وكانت الحكمة صفة لازمة له وذلك لكمال علمه وخبرته سبحانه.

فالحكيم الذي يضع الأشياء مواضعها، ويعطي كل شيء حقه من الوقت والحياة والزيادة والنقصان.

ومن بديع اقتران هذا الاسم في سورة يوسف عليه السلام اقترانه «بالعليم» فتكررت «العليم الحكيم» بداية القصة وأوسطها وآخرها، فإنها من أعظم ما قصه القرآن الحكيم وفيها الكثير من تبدل الأحوال من عزّ إلى ذل والعكس، ومن اجتماع إلى فرقة والعكس، ومن يسر إلى عسر والعكس، ومن بلاء إلى بلاء ثم نصرة الله والعاقبة للتقوى.

فتكرر هذين الإسمين يخاطب الأرواح المؤمنة المعتبرة، فعلم الله الذي لا يغفل ولا ينام محيط بكل تلك الأحوال وحكمته تقسم الأقدار بعدل كبير وفضل أكبر، وقد كتب عنده سبحانه في السماء: (سبقت رحمتي غضبي).

أربعة وعشرون: اسما الشفقة: الرؤوف الحنان

-فالرأفة هي الشفقة وهي أدق وألطف من الرحمة.

- والحنان هو الشفقة القريبة من المشفوق عليه.

فسبحان الذي بلغ من العظمة غايتها ومن الحنان والرحمة غايتها.

خمسة وعشرون: وأعجب من حنانه ورأفته أنه: الولي - القريب، الودود - المجيب

«فالولي» القريب الذي يتولى أمر أحبائه ومادة «و ل ي» تدل على القرب والموالاة.

«والقريب» الذي هو حاضر عند عباده غير غائب ولا بعيد وهنا يتبين معنى اسم:

«الودود» فهو المحب الذي يتودد لمحبيه بالنعم وبطلب العبادة والدعاء منه ليحبوه ويحبهم.

«المجيب» وإذا أحبهم أجابهم إلى كل ما سألوه، وهو يحب أن يسأل ويُدعى.

ستة وعشرون: الحييّ - الستير

فسبحانك ربنا تستحي منا ولا نستحي منك فما أجلك وأكرمك أنت الحييّ الستير وفوق ما جنيناه تسترنا، وتتودد إلينا فإن اللسان معقود...

- ومن حيائه سبحانه أنه (يستحي إذا رفع عبده إليه يديه أن يردهما صفراً لا خير فيهما) وهو من الأحاديث الصحيحة في سنن أبي داود ومثله عنده (إن الله حيي ستير يحب الحياء والتستر فإذا اغتسل أحدكم فليتوار بشيء) أي فليختف به.

سبعة وعشرون: الجواد - الشافي

«فالجود»: هو الكرم وكثرة النفقة والله جواد يحب الجود.

«والشافي» قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ والشفاء رفع البلاء والمرض.

وجاء في رقية النبي ﷺ: (اللهم رب الناس أذهب الباس اشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك، شفاءً لا يغادر سقماً).

ثمانية وعشرون: الوكيل - النصير

«فالوكيل» الذي يتوكل بالأمور فيتولاها ممن وكله سبحانه وتعالى بها، ولهذا لما يوكله أحباؤه في قضاياهم فإنه نعم الوكيل، ولذا علمهم كلمة التوكل وهي «حسبنا الله ونعم الوكيل».

قال ابن عباس -كما في صحيح البخاري- عن هذه الكلمة (قالها إبراهيم حين ألقي في النار، وقالها رسول الله ﷺ وأصحابه عندما قال لهم الناس: إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم (وهذه القصة بعد غزوة أحد لما خرج النبي ﷺ خلف المشركين

وملم جراحه قالوها، وقد كتبها الله لهم غزوة وأجراً وإن لم يدركوهم).

«والنصير» هو الناصر القوي الذي لا يخذل، وإذا وعد عباده بالنصر فسينصرهم لأنه القائل ﴿وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وهذا الحق هو أوجبه على نفسه بكرمه لا بحق واجب لنا، وفي آخر الحج ﴿فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾.

تسعة وعشرون: السيّد - المولى

«والسيد» الذي تقدم على غيره بالجاه والفضل.

«والمولى» هو السيد والمالك.

والسيد إنما جاء في الحديث (السيد الله).

فرحماك رحماك سيدي ومولاي قرّبني منك ولا تطردني عن بابك....

ثلاثون: فأنت إلهي السلام - المؤمن

فمنك «السلام» -وهو الأمن والسلامة من كل شر- إلى الخلق كافة وأنت السلام السالم من كل عيب ونقص- فسبحانك جل شأنك وعز أمرك.

أحد وثلاثون: وأنت النور - والجميل

فبنورك نورت السماوات والأرض بنور وحيك العظيم، ثم بنور آخر أضاءت لنا فيه حياتنا فاستطعنا العيش فيه بنعمتك في الليل والنهار، فسبحانك من منعم كريم لو كشفت لنا وجهك ذا الجلال لأحرقت سُبُحات وجهك كل ما بلغ إليه نوره.

- وأنت الجميل - والجمال حسن المظهر وبهاؤه - في قولك وفعلك وأنت الجميل في ذاتك، فلا شيء أجمل منك وهمّنا -ياربنا- أن نستمتع برؤية جمالك في جنتك عند لقائك، وأن نستمتع باطلاعك علينا فيها وأنت تحيّينا ﴿سَلَامٌ قَوْلاً مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ فلا تحرمنا إياه ولا تجعلنا مع القوم المحرومين..

اثنان وثلاثون: يا سبوح يا قدوس[1]

أنت المتعال، تعاليت وتقدّست وتنزّهت عما لا يليق بجلالـك وعظمتـك مـن كـل عيب أو نقص أو مشابهة للخلق في عيبهم ونقصهم وحاجتهم وفقرهم...

لك الكمال كله وأنت الغني الحميد فاغرس اللهم في قلوبنـا عظمتـك كيمـا تهـون علينا الدنيا.

واغرس فيها عظمة ما عندك كي ترغب عما سواك.

وحقق فيها محبتك كي تتسلى به عن محبة من سواك.

وليّن بذكرك قلوبنا وجل بنورك بصائرنا.

وامسح ببركة أسمائك الحسنى وجوهنا.

واجعل إيماننا بها وإحصائنا لها سبباً إلى جوارك.

آمين آمين اللهم صلّ وسلم على نبينا محمّد.

الفصل الثالث

ذكر صفات الرحمن العلى - بالإجمال - غير الواردة في الأسماء الحسنى

ونستكمل رحلة العيش الرباني في ظلال صفة الرحمن والتي عاشـها قبلنـا الخـيّرون من هذه الأمة أصحاب محمّد عليه أفضل الصلاة والسلام والتابعون لهم بإحسان.

وأكتفي بذكر أحد السائرين من الأصحاب رضوان الله عليهم وهـي السـرية الـتي

(١) وهما صيغة مبالغة من: «متسبح - متقدس» وهو المتنزه عن كل ما لا يليق من الصفات أو الأفعال.

بعثها رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام فكان ذلك الصحابي يقرأ لهم في الصلاة بـ ﴿قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ﴾ ويفعل ذلك في كل صلاة فلما رجعوا أخـبروا النـبي ﷺ فدعـاه فسأله لم تفعل ذلك؟ فقال: لأنها صفة الرحمن فأنا أحب أن أقرأ بهـا، قـال: (فـإن الله أحبك كما أحببتها).

هذا مثل من الرعيل الأول وســوف - إن شـاء الله تعـالى - أجمـع فيـه آثـاراً عـن المحسـنين العـارفين لكـي تكـون حـافزاً وأسـوة كـالتي جمعتهـا في كتــابي «الخشــوع والربانية»[1] في الفصل الثاني عشر منها والله المستعان فنبدأ:

(أولاً): بصفة «الكلام»:

وهي الصفة العظمى الأولى وذلك أنها هي الرسالة وهي الديــن والشـريعة، وبهـا يأمر الله وينهى ويعد بالثواب ويتوعّد بالعقاب.

وفي الذكر الحكيم: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّــى يَسْـمَعَ كَـلاَمَ اللَّهِ﴾ براءة. وفيه: ﴿وَالله يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ الأحزاب.

وكلامه سبحانه لا يتناهى فهو يتكلم وقتما شاء بما شـاء فـاقرأ في سـورة الكهـف: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً﴾ والمداد الحبر الذي يكتب به.

(ثانياً) الصفة العظمى الثانية «الاستواء والعلو»:

فإيماننا بها يعرفنا بربنا سبحانه جل شأنه ويجعلنا نتّجه بقلوبنـا -أينمـا كنـا في هـذه الأرض السابحة- إلى العلو قصداً وصموداً وتعبّداً.. نعم نعرف ربنا بأنه فوقنا ﴿وَهُـوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ وبأنه مباين للخلق غير متصل بهم بذاته، ولا مختلـط بهـم، وهـو

(١) نشر هذا المقال في مجلة الحكمة العدد (١٥) ونشر ككتاب مستقل [المجلة].

فوق العالم والكواكب استوى على عرشه -والاستواء العلو والارتفاع- وهو سبحانه مستغنٍ عن العرش وعن حملته فسبحانه عزّ شأنه فبقدرته يحمل حملة العرش العرش ومنه يستمدون قدرتهم...

وبهذا ندرك أن استواءه سبحانه على عرشه العظيم ليس كاستوائنا نحن، فليس سبحانه يشبهنا في شيء والآية الحكيمة في سورة الشورى تقرر ذلك بكل موضوعية حيث تقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ وقد تقدمت الإشارة لعلو العلي الغفار في شرح الأسماء الحسنى.

(ثالثاً) «الإرادة والمشيئة»:

فهو سبحانه: ﴿إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ وفي الكهف الحكيمة يقول الله جل شأنه ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ ومشيئته سبحانه جبارة وقاهرة لكل مشيئة.

أسئلة لزيادة الإيمان

السؤال الأول:

فإن قلت: لم لا تمنع هذه الإرادة العظيمة الشر قبل حدوثه؟

فالجواب: لله حكمة جليلة في هذه الحياة التي جعلها كلها ابتلاءً في تنازع الخير والشر فيها وما ينتج عن ذلك من حكم في إرسال الرسل -صلوات الله عليهم- والثواب والعقاب.

ويزيد هذا توضيحاً أن نقول أن الإرادة إرادتان والإذن إذنان. فإرادة شرعية وإذن شرعي وإرادة كونية قدرية وإذن كوني قدري.

- فالإرادةُ والإذنُ الشرعيين هو ما يريده الله منك شرعاً أن تعمل بالطاعات

وتتجنب المعاصي ومنه في الآية الحكيمة ﴿وَاللهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيماً﴾ ومنه ﴿قُلْ ءَاللهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللهِ تَفْتَرُونَ﴾ أي سمح لكم.

- والإرادة والإذن الكونيان هو ما أذن الله سبحانه بحدوثه في الكون وما أراده الله خلقاً وقدراً قال جل شأنه: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلُواْ وَلَكِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ وفي الإذن القدري: ﴿وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ في آية السحر في سورة البقرة، فحرّم السحر شرعاً وأذن بحدوثه كوناً وقدراً ومنه في سورة الحشر في تقطيع شجر بني النضير: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾.

والآيات في هذا الباب كثيرة والمقصود الإشارة والاختصار ومثله التحريم فمنه كوني قدري ومنه شرعي.

- فاقرأ في قصة موسى عليه السلام في القصص ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ﴾ وفي الأنبياء: ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ﴾ فهذا تحريم قدري.

- والشرعي لمعروف فمنه في الأعراف في وصف النبي عليه الصلاة والسلام: ﴿يُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾.

وفهم هذه الفروق يعطيك قاعدةً عقدية هامة فاحفظها.

السؤال الثاني:

فإن قلت: فمشيئته حاكمة وكتب كل شيء وقسّمه فلم نحاسب ونعاقب؟

فالجواب: مستعيناً بمن خط قلمي هذا بإذنه ونعمته.

إن علْم الله سبحانه كما تقدم في الأسماء الحسنى شامل لكل زمان، ومحيط بكل مكان فبعلمه الكامل الأزلي عرف مصائر الناس وغير ذلك، وكتبه في اللوح المحفوظ عنده في السماء.

وعلمُ الله وكتابةُ ما سبق في علمه حق وكمال ولا يعني ذلك ظلم الناس بل كتب ما عَلِمَ أنهم يختارون ويصيرون إليه.

ثم كون مشيئته سبحانه حاكمة لا تعني أن يضل من يريد الهدى ويغويه ثم يعاقبه، والله متعال عن مثل هذا سبحانه، بل خيّرنا وجعل لنا مشيئة لأنه لو لم يكن كذلك لكان كفرهم وعصيانهم رغم إرادة الرحمن وذلك مستحيل...

وهو مضمون قول الكريم الحكيم: ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ الله رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ وقال ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ الآية في الكهف.

السؤال الثالث:

فإن قلت: قد فهمت جلّ هذه المسألة الجليلة فيبقى شيء: ما معنى أن الله سبحانه يضل من يشاء ويهدي من يشاء؟

فالجواب: يهدي من يشاء فضلاً ويضل من يشاء عدلاً.

- فمن منّته سبحانه أنه يهيئ للمهتدي أسباب الهداية خاصة إذا سعى إليها فالله يكافئه على سعيه بالزيادة ومن هذا في السورة الحكيمة «محمّد»: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ فكان لهم عند الله حصة نالوها باهتدائهم.

ومن عدله سبحانه أن من لا يستحق الهداية لخراب طبعه وخبث سريرته أن يضلّه ويزيده عقوبة له على زلله وشروده عن الله: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِ رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاؤوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِ مِن قَبْلُ﴾ فتأمل قوله سبحانه: ﴿بِمَا كَذَّبُواْ بِهِ مِن قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾.

فقد انحلّت العقد التي طال سؤال الناس عنها كل زمان وذاك فضل الله العلي الكريم على أهل العلم الذين فصّلوا وأفادوا وأجادوا ونصحوا لدين الله وأخلصوا

له وذادوا، فاستفدنا من علومهم... وملخص هذه المسألة الجليلة التي تزيدك إيماناً بعظمة الله وحكمته وجلال تقديره وقسمته:

ملخصها: أن الله سبحانه علم كل شيء وكتب كل شيء ثم يخلق الأشياء كما قدّرها ولا تخرج عن مشيئته العادلة الحكيمة.

قال جل من قائل: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ * وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ * وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ * وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ * وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾ القمر.

(رابعاً): تلك صفات ذاته سبحانه -عدا صفة العلو- ومن صفات أفعاله سبحانه جل شأنه:

الخفض والرفع والإعزاز والإذلال والإحياء والإماتة والإنعام والانتقام والتقديم والتأخير.

قال جل من قائل في فواتح آل عمران: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الَميِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

يقدم من يشاء ويؤخر من يشاء، ويهدي من يشاء ويضل من يشاء، وذلك بحكمته العظيمة التي لا ندرك سرها. قال عيسى عليه السلام والله يحكي عنه قوله: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ﴾.

ولا يظلم ربك أحداً فمن سعى إليه هداه وزاده. ومن أعرض عنه خذله وذاده وهو الحكيم العليم.

وفي حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في دعاء النبي عليه أفضل الصلاة

والسلام وقد تقدم في شرح الأسماء الحسنى في الفصل السابق: (أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير).

ومن هذا الحق والعدل: إنعامه وانتقامه سبحانه فينعم متفضلاً ويعاقب وينتقم عادلاً.

وكل فعل له سبحانه متردد وصفه بين الفضل والعدل أما الظلم فقد نفاه عنه وحرمه على نفسه الكريمة فمن ذلك في الاية الحكيمة ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُواْ هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ الزخرف.

وفي الحديث القدسي -الذي رواه أبوذر عند مسلم- (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرّماً فلا تظالموا).

خامساً: ومن كرمه سبحانه تجاه عباده النزول إليهم:

كما جاء عن نبي الهداية والصدق عليه أفضل الصلاة والسلام في الحديث الثابت المتواتر: (ينزل ربنا إلى السماء الدنيا حين يبقى الثلث الأخير من الليل فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يستغفرني فاغفر له، من يسألني فأعطيه).

ومن هذا الكرم أنه يأتي إليهم ويجيء، مثل مجيئه لفصل القضاء بينهم يوم القيامة وهم في العرصات واقفون مكروبون ﴿كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكّاً دَكّاً * وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً﴾.

سادساً: ومن صفات كرمه التي تعبر عن كمال أوصافه -وهو سبحانه أولى بكل كمال من خلقه- فإنه سبحانه: يحب المتقين والمحسنين والصادقين.

وهو بعدُ يبغض الكافرين والفاسقين والمتكبرين بعدل منه سبحانه ويبغض على هؤلاء لعبادهم وضلالهم وزيفهم وكبرهم ويرضى عن أولئك لإحسانهم وطيبهم وتقواهم.

ويعجب من بعض عباده وحسن صنعهم كمثل الأنصاري وزوجته «اللذان سهرا يطعما ضيف رسول الله عليه الصلاة والسلام بعدما أناما الأطفال جوعى وأطفئا السراج ولم يذوقا شيئاً معه، فأصبحوا ونبي الله عليه الصلاة والسلام يقول للأنصاري: لقد عجب الله لصنيعكما البارحة».

ويضحك إلى بعضهم كمثل الرجلين يقتل أحدهما الآخر وكلاهما يدخل الجنة، كافر يقتل مؤمناً فيدخل الجنة شهيداً، ثم يتوب الله على القاتل فيسلم فيُقتل في سبيل الله ويدخل الجنة أيضاً شهيداً فيضحك الله إليهما.

ويفرح بهم إذا أقبلوا عليه وأنابوا إليه كفرح الأعرابي الذي أضاع دابته في أرض مضيَعةٍ فلما يئس استظل بشجرة وقال أموت هنا، فما أن استيقظ وجدها عند رأسه فقال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح فالله يفرح عند التوبة أكثر من هذا الفرح المذكور.

سابعاً: ويداه مبسوطتان بالخير والعطاء:

عكس ما قالت اليهود -والله يلعنهم- ويحكي عنهم القرآن في سورة المائدة: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ الله مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾.

وخلق آدم بيديه تشريفاً له وتخصيصاً دون سائر الخلق ولهذا تكبر إبليس لعنه الله لما أمره الله بالسجود له فقال جل جلاله: ﴿يَاإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ * قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾.

ووجهه سبحانه ذو جلال وذو إكرام كما وصفه في آيات الرحمن: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ﴾.

قال ﷺ وهو يصف ربه سبحانه: (حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه) أخرجه مسلم في صحيحه.

ثامناً: ومن كمال عدله سبحانه جل شأنه أن يقابل فعل العباد بالمثل:

وكما تدين تدان فالمنافقون إذ يستهزؤون بالمؤمنين ويقولون خلفهم: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ فإنه يرد عليهم: ﴿الله يَسْتَهْزِىءُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.

ومثله في أعداء الرسل: ﴿وَمَكَرُواْ مَكْراً وَمَكَرْنَا مَكْراً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ * فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ النمل.

وفي الرد على مكر اليهود بعيسى عليه السلام في آل عمران: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ الله وَالله خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ ومثله في مواساة محمّد ﷺ في آخر سورة الطارق والرد على كيدهم: ﴿وَأَكِيدُ كَيْداً * فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً﴾.

الفصل الرابع

أ- كيف نؤمن بهذه الأسماء والصفات إيماناً صحيحاً بدون انحراف؟

ب- وكيف نربطها عملياً بحياتنا فلا نعصيها أو ننساها ونكفرها حقّها؟

أ- أما كيف نؤمن بها فقد تقدمت القواعد الرفيعة في هذا العلم الإلهي:

- فمن الفصل الأول تبين أن كل اسم يدل على صفة ومعنى، وليس كل صفة ومعنى تدل على اسم[1].

- فالأسماء توقيفية لا تؤخذ بالاستنتاج والمعاني ولكن بالنص الصريح، وكذلك صفة الرحمن فإنما تؤخذ من الرسالة المحمدية قرآناً وسنة... ولا ينفي هذا دلالة العقل على كثير من الصفات دلالة اضطرارية واضحة: كالعلم، والحياة، والقدرة الجبارة، والسمع والبصر، والعلو على الخلق، والكلام الذي يأمر به وينهى، والإرادة الإلهية...

وكذلك يدل العقل بما يشاهد ويرى على الأَحَدية والصمدية، والعظمة والمجد والغنى والرحمة واللطف والحكمة والعدالة الإلهية والإنعام الفاضل والانتقام العادل فالكون ودقة تسييره ورعايته ثم تقلب أحوال الخلق والسنن الكونية المشهودة كلها شاهدة على صفات الكمال لصاحب الكمال المطلق سبحانه...

وهذه حجج عقلية بطريقة الاستدلال بالأثر على المؤثر....

وحجة أخرى عقلية واضحة وهي أن كل كمال وصفة جلال وهبها لخلقه فهو أولى بها من المخلوق فإذا أعطاه جمالاً أو جلالاً فهو أولى بالجمال والجلال منهم... وتفصيل الحجج العقلية يطول لكن المقصود الإشارة إلى أن عقولنا إذا صارحت نفسها بالتفكير الصحيح فإنها توافق ما صح وورد إلينا من الشرع الصحيح.

وتقدم في الفصل الثالث عند صفة الاستواء أن معناه معلوم لنا وهو «العلو» والكيف مجهول لنا لمحدودية تفكيرنا وصعوبة إدراكه بل استحالته، إذاً فالتسليم واجب والسؤال تكلف وابتداع.

فنؤمن بها وبما دلت عليه من المعاني الوصفية الجليلة ولا ندري عن الكيف، لأنه من علم الغيب الذي نؤجر على الإيمان به، ونأثم إن بحثنا عنه أو تكلفنا السؤال عن

(١) وسيأتي مزيد عند التفسير ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ آخر الرسالة.

سره وذلك أن هذه العقول محدودة الإدراك بسبب محدودية وسائله وهي الحواس والسمع والبصر قال جل شأنه في سورة النحل في هذا المعنى: ﴿وَاللهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ فلما كانت هذه محدودة تعجز عن إدراك الكثير من القريب فكيف بالبعيد وما وراء ذلك؟

إذا فمن الخروج الجائر على العلم وقواعده عندما يبحث العقل أو يتدخل فيما لا يعنيه ولا يطيقه.

ومن لم يعي هذه الحقائق الجليلة انحرف وحرّف النصوص عن مواضعها جهلاً منه أو تأثراً بفلسفات ليست من العلوم المحققة وإنما قلت: ليس من العلوم لكي لا نظلم العلم.

وأصحاب محمّد عليه أفضل الصلاة والسلام -ورضي الله عنهم- وتابعوهم بإحسان وأتباعهم على الهدى والإيمان كانوا أفضل الناس بعلمهم ودينهم وفهمهم وكانوا هكذا يؤمنون[1]. فهم أعلم وأفهم وأقوم، وسبيلهم أسلم وأحكم وأقرب إلى الله نعم أقرب إلى الله.

---

(١) فإن قلت: فما موقف أهل السنة من مذهب أبي الحسن الأشعري في باب الأسماء والصفات؟
فالجواب: باختصار لأن التفصيل لا متسع له هنا -إن إمرار النصوص- في الكتاب والسنة- على ظاهرها والإيمان بما دلت عليه من المعاني بدون تأويل لمعانيها- أي صرف ألفاظها عما دلت عليه- وهو مذهب الحق.
فتأويلها بدعة في دين الإسلام أول من أحدثها الجهم بن صفوان ثم تبعه بشر المريسي وابن أبي دؤاد حتى كانت محنة المعتزلة في زمن المأمون... وصار لهذه البدعة أنصار ومذاهب والذي يحسن التنبيه عليه هنا أمور تتعلق بالأشعري رحمه الله وهي:
١- أن أبا الحسن الأشعري على مذهب السلف وطريقة أهل السنة والجماعة راجع كتابيه «الإبانة» و«مقالات الإسلاميين» وكتاب الحافظ ابن عساكر «تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى أبي الحسن الأشعري» وهو مؤرخ قدير معتمد.
٢- أن أساطنة المذهب الأشعري الثلاثة تراجعوا إلى مذهب السلف نادمين وهم «الفخر الرازي، وأبوالمعالي الجويني، وأبوحامد الغزالي» ولا يتسع المقام لنقل أقوالهم ولكن تراجع في إرشاد الفحول للشوكاني باب التأويل.
٣- أن المذهب الأشعري يخالف مذهب أهل السنة والجماعة في أصول تتجاوز العشرة وليس فقط في الصفات فراجع رسالة الشيخ سفر الحوالي «منهج الأشاعرة في العقيدة» فإنها وافية في بابها.

إنهما الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها والعقل السليم الذي ينصف نفسه ويحسن الاستدلال... فينقادان إلى الله الحكيم الكريم بكل يقين وتواضع وبكل تقديس وتوقير فإذا سقاهما نور الوحي الشريف والرسالة المحمدية -على صاحبها أفضل الصلاة والسلام- أصبح نوراً على نور وهو المعنى في آية النور في سورة النور والشاهد منها: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي الله لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ «فالزيت الذي يكاد يضيء» فطرة المؤمن وعقله والنور الذي سقاه نور الوحي الذي بدأت به الآية ﴿الله نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ أي منيرهما بنوره ووحيه.

فاللهم اجعل في سمعنا وبصرنا وقلوبنا نوراً من نورك وخذ بيدنا حتى نصل إليك وثمّة بر الأمان.

ب- أما كيف نربطها بحياتنا أو على الأصح نؤمن بها عملياً ولا نكفرها أو نعصيها فذلك بما يلي:

أولاً: أن تعرفنا هذه الأسماء الكريمة والصفات الجليلة بالله سبحانه.

فنعرف بها ربنا بقدرته وعظمته وجلاله وعزته وقهره التام فتورثنا تلك المعرفة إقراراً عقلياً مسلماً بأن الرب الخالق الذي اتصف بهذه الصفات يستحق من عباده كل إجلال وتقدير، وتقديس وتنزيه عن الشريك والنّد في الملك والخلق، أو الشبيه والمثيل.

ويعبّر عن هذه المعرفة الجليلة بتوحيد المعرفة والإثبات.

ثانياً: وهذه المعرفة والإقرار العقلي يدعوان عارفهما إلى عبادة الله جلّ وعزّ، فمن عرف الله بحق لا بد أن يعبده وهذا الأمر يقرره الله تبارك وتعالى في القرآن العظيم فمثلاً:

في سورة البقرة العظيمة: ﴿وَإِلَـهُكُمْ إِلَـهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَـنُ الرَّحِيمُ * إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً لِّلّهِ﴾ الآية.

وبنفس المنهج القرآني الذي يقرر الألوهية المبني على توحيد ربوبيته وصفاته في سورة النمل يقول سبحانه جل شأنه: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُواْ شَجَرَهَا أَإِلَـهٌ مَّعَ اللهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ * أَمَّن جَعَلَ الأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلاَلَهَا أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً أَإِلَـهٌ مَّعَ اللهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ * أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَـهٌ مَّعَ اللهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ * أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًى بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَـهٌ مَّعَ اللهِ تَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ * أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَإِلَـهٌ مَّعَ اللهِ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾.

وعلى نفس النسق في سورة الروم الناصرة: ﴿وَمِنْ ايَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُمْ بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ * وَمِنْ ايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُواْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَمِنْ ايَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ * وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ

الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ * وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ * وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

إنها آيات متناسقة تقرؤها فترى نفسك تسبّح في حب الله وعظمته.. وبالاقتصار عليها اختصار فإن هذه الآي وأشباهها المنتشرة في:

الأنعام ويونس وهود والحجر والنحل والفرقان والعنكبوت وآل حم (وهي سبع سور) وسائر المكي وبعض المدني.

فالازدياد منها يقين، وسُقيا تروي الظِماء من النفوس إلى معرفة باريها ومولاها، وهو المنهج القرآني في التوحيد الإلهي وهو القسم الثاني من أقسام التوحيد ويسمى أيضاً توحيد العبودية لأن العبادة لا تكون إلا للإله وحده وقد تقدم شرح معنى الألوهية في أول الفصل الثاني.

ويجمع توحيديّ المعرفة والعبودية لله قوله سبحانه وجل شأنه في سورة الأحقاف: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا الله ثُمَّ اسْتَقَامُواْ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ونحوها في سورة فصلت.

فكيف ندّعي معرفة الله أو محبته ونحن لا نعبده؟ نعم ونحن تاركوا الصلوات الخمس التي هي عبادة الله وهوية المسلم الدالة على عبوديته؟

فمن لم يصلّ لم يعبد الله، ولهذا سُمي تركها كفراً في الحديث الشريف، ثم إنه بعد أداء الصلاة تطلب سائر العبادات. وهذه الأولوية لأنها أول ما نسأل عنه عند لقاء الله فإن قبلت قبل العمل وإلا فإنه حابط مردود، والله المستعان والمسئول أن يجعلنا عنده من المقبولين.

ثالثاً: وتورثه هذه المعرفة تعظيم الله سبحانه وتعظيم حرماته:

قال جل جلاله في سورة الحج: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ الله فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ ومثلها قبلها: ﴿ذلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ الله فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ...﴾.

أما والمرء يستهين بحرمات الله فكيف يكون قائماً في قلبه تعظيم لله أو تقدير: ﴿وَمَا قَدَرُواْ الله حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.

رابعاً: خشيته ومراقبته:

وهذه إذا أورثتها تلك المعرفة فإن الإنسان يسير باتجاه الإحسان، وهو أن يعبد الله كأنه يراه فإن لم يكن يرى الله فإنه يراه، كيف وهو الشهيد الرقيب الحفيظ أحاط بكل شيء علماً وخبرة، وكان رقيباً على كل شيء، إذاً يضع العبد بين عينيه قول الله سبحانه في سورة التوبة: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ الله يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ الله عَلاَّمُ الْغُيُوبِ﴾ وقوله في تهديد الظالم الكافر ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ الله يَرَى﴾.

خامساً: رجاء كرمه سبحانه والسعي إليه طلباً لفضله...

فهو الواسع الكريم الذي قال عن نفسه: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ الحجر. وقال عز من قائل: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ الملك.

سادساً: نصب هذه الآية بين أعيننا ﴿قُلْ يعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ الله إِنَّ الله يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ الزمر.

وفي الأعراف: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ وفي محكم الكهف ﴿ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ

ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ﴾ فمهما أذنبنا وأسرفنا فالعودة إليه أبرّ وأتقى.

وإذا قويت التوبة فإن السيئات برحمته تنقلب حسنات وهذا الكرم تصدّق الله به علينا في آخر الفرقان فراجعه فيها...

سابعاً: وتورث هذه المعرفة أيضاً للمسلم المؤمن رضاً وتسليماً بقضاء الله وقدره والصبر على ذلك:

وهو في سورة التغابن: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ الله وَمَن يُؤْمِن بِالله يَهْدِ قَلْبَهُ وَالله بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

وفسر الإيمان هنا أن يعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم فسمي الصبر والتسليم إيماناً لأنه من شعب الإيمان.

وسمّى الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام النياحة كفراً لعدم الصبر على القضاء.

ومراتب الصبر على القضاء ثلاث:

الأولى: حبس النفس عن التسخّط بالمقدور سواء باللسان أو بالأفعال.

الثانية: الرضا بما قسم الله وقدّر، وهذا هو المؤمن الذي رضي بالله وبما جاء منه.

الثالثة: الفرح بقضاء الله كله لأنه كله خير وإن كان في ظاهره مكروهاً.

وهذه درجة متقدمة للعارفين بدينهم وبربهم وهو فضل الله يؤتاه مَنْ اختصه الله بفضله.

أما الاعتراض على قضاء الله وقدره والطعن فيه فهو كفرٌ وردةٌ عن دين الإسلام وهو مثل الطعن في تشريع الله ودينه ومن أمثال ذلك في الناس قول الضالّ منهم

«هذا المرض ما كان ينبغي أن يكون عليّ بل على فلان» وقول غيره «انظر إلى فلان الظالم يرتكب كل جريمة وهو في نعمة ورياش وفلان لا يؤذي النملة وطول عمره محسن للناس وهو في ضنك من العيش» وبعضهم يقول في دعائه الكافر «يا رب لم فعلت بي هكذا؟! ماذا صنعت لك ولم ظلمتني» وقول مثله «ما دمت متديناً ستظل أحوالي سيئة، والواحد لما يلحد الله يرزقه».

وكل ذلك من الجهل بالله، وهو أعدل العادلين وأحكم الحاكمين وأحسن الخالقين وأكرم الأكرمين، فلا بد إذاً من:

ثامناً: من إحسان الظن بالله:

فسوء الظن به يورد المهالك ويجرّ إلى الكفر، والله سبحانه عند ظن عبده به، فليظن ما شاء كما جاء في الحديث القدسي، واقرأ في أول الفتح: ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾.

وكان ظنّهم أن الله لا ينصر المؤمنين، ومثله ظن المنافقين المحكي عنهم في آل عمران: ﴿يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ للهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِم مَّا لاَ يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.

وظنهم الخبيث هو قولهم: لو أطاعونا ما قتلوا، وقد تكرر في نفس السياق وإنما حَجَزَهُمْ جُبْنُهم وظنّهم أن المشركين سوف يبيدون المؤمنين ولن يبقى بعدها للمؤمنين قائمة، وهذا في الحقيقة مستحيل عند الله، فالله ناصر الحق وأهله حتى وإن ابتلاهم فالعاقبة لهم والمتقين.

تاسعاً: الإحساس الدائم بعلوّه وقهره:

فتمشي وأنت تشعر أن الذي فوقك يراك ويحيط بك، وأمره يحكمك وإذا خفت الكيد من مخلوق فالذي فوقك يؤمنك، وإذا دعتك نفسك إلى الطغيان والذنب فتذكرك الذي فوقك يمنعك:

وإذا خلوت بريبةٍ في ظلمة والنفس داعيةٌ إلى الطغيان
فاستحيي من نظر الإله وقل لها إن الذي خلق الظلام يراني

وإذا دعتك قدرتك على ظلم الناس والتّجبّر والسيطرة على أعداد من البشر فتذكر قدرة الجبار عليك...

وحقاً إن الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق نسوا الله، بل لم يعرفوه أصلاً وهم في قائمة مسيئي الظن بأحكم الحاكمين وخير الفاصلين وأسرع الحاسبين.

إن الإحساس الدائم بعلوّه هو واعز إيماني رفيع ولا يتأتى من فراغ بل بعد قيام ليل دائم وقراءات لكلام الله خاشعة مستمرة، وبعد فترة من أداء الصلوات الخمس بنيّة الوداع كما أوصى عليه الصلاة والسلام (صل صلاة مودع كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك).

وهو ثمرة إيمان متأمل لحقائق أسماء الله الحسنى وصفاته قد رسخ في العقل فاستثمرته العبادة فأنتج نوراً لأن مصدر الإيمان نور الله جل جلاله ونور وحيه.

وهنا يمشي المؤمن بنور الله، ويتكلم بنوره، ويهدي الناس بنوره، وينظر أيضاً بنوره، فيحبه الله وإذا أحبه وضع له القبول في الأرض فأحبه كل من عرفه، وحتى من لم يعرفه، ويرزقه الله البصيرة في الحق والخلق،وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

فأين هذه النعم من الغافلين عن الله الشاردين عنه.

عاشراً: حبه والحياء منه سبحانه:

فماذا يكتب القلم وماذا يملي القلب عليه فهذا الباب لا تتسع له الكراريس، ولربما لا يتحرج القلم في فصل ولا باب مثل حرجه وهو يكتب في هذا الباب، فماذا يخط وماذا يرسل عن محبة المحبين ومنازل السائرين، ووصايا المتقين وعيش الذاكرين ورحلة الشادّين رحالهم إلى الله. ..

فكيف نحب الله وكيف نتقرب من المحبوب وكيف ننعم بحبّه؟؟

إن حب الله هو عقيدة ومبدأ وإيمان راسخ قبل أن يكون هياماً عاشقاً مشابهاً انحراف أهل الهوى، ولقد مرّ في أول الفصل الثاني شرح معنى الألوهية أنها: غاية في الحب، وغاية في التعظيم، وهذان يقودان لتألّه القلب لخالقه فينتج من ذلك تقرّب إليه بأنواع العبادات والقربات قال تعالى هادياً لنا: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ الله فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ الله وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَالله غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ آل عمران.

فهو سبيل المحبة لأنه يقودنا إلى رؤية الله والتنعّم بقربه وكسب تحيّته وسلامه الدائم على أهل الجنة وهذا السلام سبقه من الله جلّ شأنه وتبارك أمره سبقه حب كريم لجيرانه المؤمنين ورضى عميم على أهل جنته ودار رضوانه.

إن التقرب إليه يكون بالخلوة به، حيث يصلي العبد له والناس نيام فلا يراه إلا الله، والله يراه وكلما دنا منه العبد دنا الله منه أكثر لأنه أكرم منه وهو الغفور الشكور.

وإن الحبّ يورث شوقاً في القلوب لرؤية المحبوب الكبير والمحبوب الأول، وإن هذا الشوق لهو حادٍ يدل الروح ويسوقها حتى تصل إلى مرامها وتقرّ أعينها بمرامها...

وإنما يكون ذلك بتحري رضاه وعمل ما يفرحه مثل التوبة إليه والإقبال عليه فذاك أعظم ما يفرحه من عبده.

وإن هذا الحب والشوق يجب أن يورثاه تذكراً له دائماً مما يجعله يلهج دائما بذكره

جل وعز شأنه، فدائماً لسانه من ذكر مولاه رطب، فما بين استغفار إلى تسبيح وتهليل وحمد وتكبير ويحاول أن يتخفّى به فلا يرفع به صوته لأن في هذا الحب سرّاً معناه: «أحبك وأذكرك سراً في نفسي ولا أبالي شعروا بي أم لم يشعروا يكفيني أنك مني قريب».

إن لهذا الحب تضحية تجعله يسترخص الدم والروح في قتال الكفرة والمعتدين ويتمنى أن يقبل على سيده شهيداً في معركة إيمانية، أو صدع بحق أنزله والناس تهاب قوله وإظهاره. وما معنى الشهادة ومم اشتقت؟

إنها اشتقت من معنى الشاهد، فهذا المؤمن بلغ دين الله للناس وأقام الحجة على الكافر منهم حتى اضطر لقتاله، حتى إنه قتل في سبيل التبليغ والشهادة عليه أنه قد بلّغ.

فسمي شهيداً لأنه يشهد على الناس بالبلاغ: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾ وفي الحديد: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ بِاللهِ وَرُسُلِهِ أُوْلَـئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾.

إن هذا الحب من مقوماته الطمع في رضاه وفي رؤيته وهو الجميل الأول الذي خلق الجمال وأودعه في شتى خلقه وخصّ نفسه بسر الجمال الأعلى الباهر الذي هو أعلى جمال وأكمله، يستمتع به المحبون، بل أعظم نعيم يستمتع به أهل الجنة هو الزيادة الواردة في سورتي (يونس) و(ق) وفسرته السنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم بالنظر إلى وجه الله الكريم وهو المعني بآية سورة القيامة: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾.

فمهما غرك جمال الدنيا وفتنتها وخاصة نساؤها فتذكر جمال الحور العين -وجمالهن إعجازي- الذي من الظلم أن يقارن بجمال نساء الدنيا، وبدون مبالغة فإن الخيال إذا اجتهد محاولاً الوصول يظل قاصراً عنه، فكيف إذا كان الجمال المطلوب إلهيّاً فهو واهبه ورازقه ومقسّمه.

والخيال في هذا الميدان عاجز فلا يحاول ألبتة، بل يقف متأدباً ومنبهاً في آن واحد لأن من يعجز البصر البشري عن أن ينظر إلى بهاء نوره بل ويخر لرؤيته صاعقاً عند كشف الحجاب إنما هو من الجمال العزيز الذي لا تقيسه العقول ولا تستطيعه لأنه بهرها.

الحادي عشر: إن من عرف الله يتواضع له:

لأن لهذه المعرفة هيبة وسلطان على القلب فكيف يستعلي على الله العزيز الجبار، وكل من يتكبّر على الحق الذي جاءت به الرسل أو دعت إليه أتباعهم فإنما يتكبر على الله.

ولهذا قال موسى عليه السلام لقوم فرعون -كما في الدخان-: ﴿وَأَن لاَّ تَعْلُواْ عَلَى الله إِنِّي اتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ (وإن من يتواضع لله يرفعه الله).

فهل يعي المتكبرون المتجبرون الكبار الموقف الرهيب ﴿يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لاَ يَخْفَى عَلَى الله مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لله الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ إن من يعي هذا حقاً سيقف ذليلاً خاشعاً حادّاً لنفسه حداً لا يتعداه.

ويرى النبي ﷺ أبا مسعود يضرب غلامه والنبي خلفه فناداه: (اعلم أبا مسعود لله أقدر عليك مِنكَ على هذا الغلام، فأعتقه لله تعالى).

الثاني عشر: تحرّي أوقات القرب منه وأوقات استجابته:

(فأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا من الدعاء) هكذا يقول النبي المرشد صلوات الله وسلامه عليه وذلك أنك كلما ذللت وجهك لبارئك كلما اقتربت منه، والسجود أبلغ وجوه الذل والعبودية، إذ توضع فيه أعلى وأكرم موضع في ابن آدم على الأرض خضوعاً وتذللاً، وثمت يكون الدعاء أقرب للاستجابة والتحقيق.

وكذلك آخر التشهد بعد ذكر الله جل وعز شانه وبعد الصلاة على رسوله فإن هذين هما مقدمة الدعاء التي ترفع قيمته وتجعله أقرب للاستجابة قال عليه أفضل الصلاة والسلام: (إذا دعا أحدكم فليبدأ بحمد الله والثناء عليه ثمّ ليصل على النبي ثم ليسأل الله).

وكذلك بين الأذان والإقامة لا يرد الدعاء كما قال عليه أفضل الصلاة والسلام فهو وقت مبارك لأنه رباط للصلاة فالدعاء فيه مستحب أكثر من قراءة القرآن وهذا يغفل عنه الناس.

وأقربه مناجاةً ومنزلةً في جوف الليل وخاصة آخره فهناك السجود وقيام الليل أبلغ في القرب من الله والتزلف إليه قال جلّ من قائل موحياً للمؤمنين في المائدة الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُواْ فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ أي اطلبوا القرب منه بالعبادة والعمل الصالح.

وأرفعها خفض الجباه لمن تعنوا لعزّته الوجوه في جوف الليل.

والذكر الكثير له فأهل الذكر أهل السبق، وتلاوة كتابه آناء الليل والنهار قال عليه أفضل الصلاة والسلام: (سبق المفرّدون، قالوا: وما المفرّدون يا رسول الله؟ قال الذاكرون الله كثيراً والذاكرات).

وقد ذكرت فوائد حفظ القرآن وتلاوته في رسالتي « مقدمة القراء»: وهي إحدى الرسائل الأربع -فالحمد لله كثيراً وقد بلغت ثماني عشرة فضيلة فلتراجع والله المستعان.

الثالث عشر: «الأمل الواثق بنصره لدينه ووفائه بوعده في نصرة المؤمنين وهذا من إحسان الظن بالله»

قال جل من قائل في القصة الطويلة الحكيمة يحكي وصية يعقوب عليه السلام لبنيه في البحث عن يوسف عليه السلام ﴿يبَنِيَّ اذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ

تيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ الله إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ الله إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ وفي قصة الخليل عليه السلام في سورة الحجر عند تبشيره بالولد ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّآلُّونَ﴾ الحجر.

وقد وعد سبحانه عباده وأولياءه بالنصر وهو لا يخلف الميعاد قال جل شأنه وتبارك: ﴿وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الروم. وفي آخر القصة الحكيمة -قصة يوسف-: ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ * لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى﴾ الآية.

ولكن للنصر أسبابه وللهزيمة أسبابها فطاعة الله وولايته أعظم أسباب النصر وهي القاعدة ويليها إعداد العدة الواجبة وما يلحقها من أسباب وهذه يغفل المؤمنون عنها والله يقول لهم في سورة الأنفال: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُمْ مَّا اسْتَطَعْتُمْ مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ الله وَعَدُوَّكُمْ﴾ فلابد من القوى المعدّة والتي تمتلك الجاهزية القتالية وهي مغنى الرباط هنا.

ويغفل المؤمنون أن الله سبحانه راعى السببية في سورة الأنفال، فلم يلزم المؤمنين بمصابرة الواحد للعشرة بل خفف عنهم لأن الكثرة تغلب الشجاعة فقال: ﴿الآنَ خَفَّفَ الله عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً﴾ ثم جعل المصابرة: واحداً مقابل اثنين لأن هذا أقرب إلى القدرة البشرية والله على كل شيء قدير ولكنه سبحانه يعلمنا الأسباب التي بنيت عليها الحياة الكونية والتي حياتنا جزء لا يتجزأ منها.

ولذلك لما قصّر الصحابة في أسباب النصر في أُحد وعصى أغلب الرماة الذين كانوا قاعدة إسناد لساحة المعركة، هُزموا بعد أن كتب الله لهم النصر في بداية المعركة، فاقرأها وتأملها في آل عمران فإنها مليئة بالعبر وهي تبدأ من قوله سبحانه: ﴿ وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ وحتى رثاء الشهداء آخر السورة وخروج المسلمين بعد لَمْلَمَة جراحهم وراء المشركين حتى بلغوا حمراء الأسد ثم

عادوا وقد كتبها الله لهم غزوة في الأجر وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل.

إن ضعاف الإيمان يرتدون عند الهزيمة وذلك لأن إيمانهم على حرف كما وصفهم سبحانه في فواتح سورة الحج: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْأَخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ ونحوها في فواتح العنكبوت التي افتتحت بالابتلاء وحمته ونتيجته، فهؤلاء الناكصون لا يعرفون الله ولا يفقهون دينه إذاً فنكوصهم لم يأت من فراغ، بل هو الفراغ الروحي والإيماني وعقدة الذنب التي تخون عند المواجهة قال جل وعز شأنه في حِكَمِ آل عمران: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ﴾.

لذلك كانت حكمة المؤمنين عند المواجهة: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُواْ ربَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * فَآتَاهُمُ اللهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ﴾ وهذه الآية في عامة المقاتلين مع الأنبياء في الأمم قبلنا فاقرأها في سياق معركة أحد.

لذلك فإن الله سبحانه استحق هذا الاسم «النصير» بكل أحقية دون أدنى ارتياب ﴿ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ الحج.

الرابع عشر: «دعاؤه سبحانه بها»:

وهذا جوهر العبادة قال جل شأنه وتبارك أمره: ﴿ وَلله الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ والإلحاد في أسمائه تحريفها والكفر بمعانيها أو تسمية العباد بما لا يتسمى به إلا الله سبحانه[1].

(١) وفي الحديث الصحيح: «إن أخنع رجل عند الله رجل تسمى بملك الأملاك لا مالك إلا الله سبحانه» وأخنع يعني أوضع وأحقر.

فاخشع له وادْعُه من قلب تائب منيب منكسر عارف بربه معترف بذنبه، فهناك يفتح الله عليك من الدعاء ما لا يفتحه لأحد في غير هذا المقام... ولذلك لما يسجد النبي ﷺ لربه يوم القيامة في المقام الأعظم ويدعو ربه قال: (فيفتح الله على من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه لأحدٍ قط).

ولقد جرّبنا ذلك فرأينا التعظيم لله والتضرع إليه يجري على اللسان بما يعجز عنه قلم الأدباء الذين يكتبون وهم على كراسيهم وهمّهم الفن الأدبي في تنسيق الدعاء...

فحاوله تجد نفسك تعيش في نعيم حُرم منه المترفون وأهل الدنيا كافة.... عدا من أنعم الله عليهم بمثل ما أنعم به عليك... وجاهد نفسك أن تداوم مع الله قياماً وقرآناً ودعاءً وتضرعاً.

واجمع بتناسق بين الأسماء مثلما فهمت من الفصل الثاني وادعُ أيضاً بالصفات بصيغة «من» فقل:

- يا من على العرش استوى.... وعلى الملك احتوى...
- يا من خضعت له الرقاب وذلت له العبيد وخضع له كل شيء....
- يا من بيده أزِمّة القلوب ونواصيها...
- يا من تقدس وتعالى على سائر خلقه...

وادع مستخدماً الإضافة في الصفات:

- يا ذا الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة....
- يا مجري السحاب ومنزل الكتاب وهازم الأحزاب...
- اهزمهم وانصرنا عليهم (وهذه الإضافات جاءت في الحديث)....
- يا كاشف الضر ويا عالم السر ويا مالك الأمر...

- يا ناصر الدين وأهله مدّنا بنصرك وبتأييدك...

- إياك ندعو، وإليك نلجأ، وبك ندرأ...

- وعليك نتوكل، وإليك ننيب، وبحبلك نعتصم...

- فلا تكلنا إلى أنفسنا والشيطان فنضل...

- ولا إلى خصمنا وعدوك... فنذلّ...

- تعبدتنا بالدعاء فدعوناك...

- ووعدتنا بالاستجابة فاستجب لنا...

- كفّر اللهم سيئاتنا بحسناتنا وتجاوز اللهم عنا...

- ولا تؤاخذنا بما ارتكب السفهاء والسفيهات منّا...

- من ذا الذي نلجأ إليه سواك...

- لا تكلنا إلى غيرك يا الله. ..

- سخر لنا الأسباب ولا تعلّق قلوبنا بغيرك...

- هذا مقام المستضعفين اللائذين بك والمنيبين إليك...

- أخرج اللهم ناصراً لدينك واجعلنا من أنصاره...

- ولا تجعلنا اللهم من خاذليه وأبدلنا بهؤلاء خيراً منهم...

- اللهم نجّ المستضعفين من المؤمنين فأنت وليهم...

- اللهم انصر دينك وشريعتك وسنة نبيك...

- وأظهر حكم كتابك العدل على أرضك...

- اللهم اغفر الذنوب، واستر العيوب، واكشف الكروب...

- اللهم استجب الدعاء، واكشف البلاء، يا عظيم الرجاء...

- اللهم طهّر قلوبنا من الرياء والسمعة ومن التعلق بغيرك...

- اللهم وحّد صفوفنا وألف بين قلوبنا...

- وارزقنا البصيرة في الحق والخلق...

- اللهم أعنّا على غض البصر وارزقنا تقواك في السر...

- ربنا اغفر لنا ولوالدينا ولمن له حق علينا...

- اللهم إليك نشكوا وأنت ربنا فاشكنا ممن ظلمنا...

- نجعلك اللهم في نحور الظالمين ونعوذ بك من شرورهم...

- اللهم إنا ضعفاء إلا بك فقوّنا...

- ومكروبون وممتحنون فاكشف ما بنا...

- وضالون إلا بهداك فاهدنا واعصمنا...

- وعارون إلا إن كسوت فاكسنا...

- وظمأى إلا بسقياك فاسقنا...

- ومكشوف ما بنا فاستر علينا، ويسر لنا وبارك وسدد والطف ووفق...

- فنحن عبادك بنو عبيدك بنو إمائك ونحن أولى بك ربنا...

- اللهم عليك توكلت، وإليك أنبت، وبحبلك اعتصمت، ومن ذنبي برئت...

- اللهم عرفت باب الذنب من نفسي فأغلقته، وعرفت باب رحمتك فلا تغلقه دوني...

- اللهم عرفت ما تريده مني وها أنا أبذله لك أبتغي وجهك الكريم...

- فحقق لي بعفوك ما أريده منك وأنت العفو الكريم...

- اللهم إني اذكر ذنبي بالتوبة فاذكره لي بالمغفرة وأنت العفو الغفور...

- اللهم إن هذا ذنبي وتلك مغفرتك فاغفر لي هذا بتلك...

- اللهم إن رحمتك أوسع وغوثك اسرع فأغثني برحمتك الواسعة ولا تكلني إلى الخذلان...

- اللهم أنت المدعو وأنت المرجو وإليك المآب وبك المستغاث...

- يارب يا رحيم يا رب يا كريم...

- أقسمت بعزتك ألا أكف عن دقّ بابك ما قضى أمرك أن تبقي روحي في جسدي حتى إذا قضيت بقبضها ودّعت الدنيا وهي تدق بابك يا أكرم الأكرمين ...

- اللهم أنت تراني بادياً وخافياً لا مفر لي منك ولا إله لي سواك...

- اللهم إن عملي يعرض عليك في هذا اليوم الكريم فاعرض عليه رحمتك وأنت أرحم الراحمين... آمين اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمّد...

فهذا نموذج طيب لكي تتدرب على الدعاء وإنما مدربه الأول وأستاذه الحقيقي هو الخشوع والتضرع في مقامات التقرب من السميع القريب المجيب والله المستعان.

الخاتمة والخامس عشر

فإن الواجب على كل مؤمن وطالب علم إعادة التأمل في أسماء الله الحسنى وما يتبعها غيرَ مرةٍ، وإملاء النظر فيها ومحاولة حفظها والتزود فيها للمستقبل ولمخبئات القدر الحكيم فهي زاد للمتزودين وأنس للمتوحشين وسقيا للظماء وغذاء ودواء، ونور وسماء (علو)، وأمل ورجاء، وهدى واهتداء...

ولقد كان أحد مشايخنا رحمه الله تعالى يوصينا بحفظ الأدعية النبوية خاصة حديث

علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (قل اللهم اهدني وسددني واذكر بالهداية هدايتك الطريق وبالسداد سداد السهم)[١].

وبحديث ابن عباس رضي الله تعالى[٢] **عنهما أنه كان من دعاء النبي** ﷺ: (ربّ أعني ولا تعن علي، وانصرني ولا تنصر علي، وامكر لي ولا تمكر عليّ واهدني ويسر الهدى لي، وانصرني على من بغى عليّ، ربّ اجعلني لك ذكاراً، لك شكاراً، لك رهاباً، لك مطواعاً، لك مخبتاً، إليك أوّاهاً منيباً رب تقبل توبتي، وأجب دعوتي، واغسل حوبتي، وثبت حجتي، واهد قلبي، وسدّد لساني واسلل سخيمة صدري).

---

(١) هو في صحيح مسلم.

(٢) هو عند أبي داود والترمذي وابن ماجه في سننهم وهو صحيح.

ملحق التعقيب على كتابين:

١- الإنباه إلى ما ليس من أسماء الله لصالح العصيمي.

٢- شرح أسماء الله الحسنى لسعيد القحطاني.

فقد كتب الأخ الحبيب صالح بن عبدالله العصيمي. كُتيباً قيّماً (الإنباه إلى ما ليس من أسماء لله)، ولي عليه بعض الملاحظات وهي:

الأولى:

أنه لم يفرق في هذه الأسماء -غير الثابتة- بين ما فيه تأويل سائغ أو مدخل للاجتهاد أو مستند ما، وبين ما لا تأويل فيه ولا مدخل للاجتهاد فيه.

ومثالاً على ذلك فقد عدّ:

١- رحوم: عند عوام الشام.

٢- حنين: عند عوام مصر.

٣- الطالب: من اجتهادات العوام في تعبيد الأسماء.

٤- العاطي: من اجتهادات العوام في تعبيد الأسماء.

٥- الفضيل: من اجتهادات العوام في تعبيد الأسماء.

٦- المرسل: من اجتهادات العوام في تعبيد الأسماء.

- وعدّ: الصانع - والعلة الفاعلة - عند أهل الكلام.

- وعدّ أسماء قابلة للاجتهاد والصحة مثل:

١- الفالق.

٢- الهادي.

٣- الناصر.

٤- النور.

٥- القائم.

٦- العالم.

٧- الحنان.

وهي معدودة عند بعض أهل العلم.

والملاحظة هي:

أنه عدّ هذه الأسماء كلها في منهج واحد، وهذا الجمع بدون تفريق منه هو غبن للعلم وإن كان لطيفاً. فلا بد إذاً من التفريق، فلا نسوي بين ما عدّه العلماء اجتهاداً واستناداً للنصوص وبين ما لا مستند له أبداً، إلا تخبط العوام أو المتكلمين من أهل المنطق.

الملاحظة الثانية:

أنه عدّ أسماءً لم يدّعِ أحدٌ -حدَّ علمي- أنها أسماء فلماذا عدّها؟

وذلك مثل:

١- الآتي.

٢- الآخذ.

٣- الباطش.

٤- الشيء.

٥- المركب.

وكون بعض أهل العلم يقول «لا يسمى الله بكذا ولا بكذا» لا يعني أن نأتي بها ونعدّها وننفيها هذا تكلّف. فالمقصود ما ظنه بعض الناس أو الطوائف اسماً وليس بإسم.

الملاحظة الثالثة:

عد في كتابه أسماءً صحيحة أخطأ في نفيها أو كان ينبغي عليه أن يتورع في ذكرها في كتابه وهي:

١- النور ٢- العالم ٣- الهادي

- فالأول: في قوله تعالى: ﴿اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ النور.

- والثاني: في قوله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ آخر الحشر.

- والثالث: في قوله تعالى: ﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِياً وَنَصِيراً﴾ الفرقان.

- وقد ذكر الأخ العصيمي أن الشيخ الفاضل «ابن عثيمين» وهو من العلماء المحققين عدّ اسم (العالم) فلو أنه تأنى في النفي لكان أولى.

- والحقيقة أن عدّ هذا الاسم مجرداً غير مناسب لأنه لم يأت هكذا، بل جاء مضافاً إلى ﴿الغيب والشهادة﴾ فمجيئه في الأسماء في آخر سورة الحشر قاطع فاصل في وجوب عدّه ولكن كما جاء فيها.

- وأيضا مجيئ الاسم بصيغة اسم الفاعل مجرداً لا يدل على كونه من الأسماء إلا بدليل[1].

(١) راجع ما تقدم في كتاب «حلاوة الإيمان - الضوابط في تمييز الأسماء الحسنى».

الملاحظة الرابعة:

- عدّ أشياء من أسماء الأفعال أصاب في ذكرها ونفيها، ولكن لم يعدّ ما يقابلها أو يشابهها وهي غير ثابتة أيضاً.

فبينما عدّ: (المبدئ) وهو اسم الفاعل من (يبدئ).

فإنه لم يعدّ: (المعيد) وهو اسم الفاعل من (يُعيد).

وكلاهما غير ثابتين كإسمين ولكن ثبتا كفعلين، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾.

- وبينما عدّ من المضافات: (السريع) وهي مضافة إلى (الحساب) في القرآن (وحابس الفيل) فإنه لم يعدّ:

- غافر الذنب (غافر).
- قابل التوب (غافر).
- شديد العقاب (غافر) .
- رفيع الدرجات (غافر).
- شديد العذاب (البقرة).
- شديد المِحال (الرعد).
- منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب.
- والمقصود أنه لا بد من قاعدة مضطردة في التطبيق في هذا المجال والله المستعان.

الملاحظة الخامسة:

- أنكر الأخ العصيمي استعمال الصفة بصيغة الفعل في الدعاء وذلك في رقم (٦٩).

مثل «يا من يغيّر ولا يتغير».

فما العيب فيه وما هو الخطأ؟!

والله يغيّر ما بنا إذا غيّرنا كما دلت عليه الآية في سورة الرعد: ﴿ إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾.

ومثله «يا من على العرش استوى، وعلى الملك احتوى».

وفي نونية القحطاني رحمه الله:

سبحانه ملكاً على العرش استوى وحوى جميع الملك والسلطان

أما استخدام الصفة في الدعاء بصيغة الاسم خاصّة صفات الأفعال لله سبحانه مثل:

- «يا منزل الكتاب -ومجري السحاب- وهازم الأحزاب» هو وارد في السنة.

- ومثل ﴿ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ في دعاء النوم، وأدعية الصباح والمساء في السنة.

- أو «يا عالم السر -ويا كاشف الضر- ويا مالك الأمر».

- أو «يا عاصم اعصمني ويا هادي اهدني ويا منجّي المؤمنين نجني».

- أو «يا منزل البركات، ويا صاحب النفحات، ويا كريم العطيات».

- أو «يا رجاء السائلين، ويا أمل التائبين، ويا موئل المستضعفين».

- بل قد ورد في القرآن والسنة ما يؤيد جواز ذلك ففي القرآن:

﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ الأعراف.

﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ الأعراف.

﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلاً مُّبَارَكاً وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾ الأعراف.

﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ المؤمنون.

﴿رَبِّ لاَ تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ الأنبياء.

﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ الأعراف.

- وفي السنة تقدمت بعض الأمثلة قريباً، وورد فيها أيضاً الدعاء بـ:

«فالق الحب والنوى» قبل النوم.

- وعلى قاعدة الأخ العصيمي أنه لا يدعى إلا بالأسماء فإن نفيه لهذا الاسم «الفالق» رقم (١٤). متناقض بل يصبح حينئذ من الأسماء المضافة لأنه جاز الدعاء به.

- وعلى قاعدته أيضاً أنه لا يدعي ويتوسل إلا بالأسماء، لماذا دعى الرسول صلوات الله عليه بـ «أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل»؟ وقد جعله الأخ العصيمي من باب الإخبار وليس من باب التسمية، والمستغرب من أخي أنه نفاه مع أنه وارد في الدعاء وتراه يصرّح أنه لا يجوز أن يستعمل في الدعاء إلا الأسماء.

أما على قاعدتنا فإنه يجوز أن يتوسل أيضاً بالصفات سواء بصيغة الفعل أو اسم الفاعل.

فما هو المانع؟ ! وليس في الكتاب والسنة ما يمنع من الدعاء بهذه الصيغ بدون تحديد صيغة معينة، لأن التحديد إلتزام وزيادة في الدين (أي بدعة) كأدعية الصوفية وصلواتهم.

- والمقصود أن التوسل بالصفات بصيغة الفعل أو اسم الفاعل لا شيء فيه وهو وارد في السنة كما ستراه لكن إذا خشينا أن يلتبس الأمر على السامع -مثلاً- فإن الواجب الدقّة في تحرّي الألفاظ كالقنوت في التراويح على مسامع الناس وقد سمعنا من أئمة الحرم المكي في قنوتهم -وهو يؤيد رأينا خاصة أنه على مسمع العلماء

الحاضرين هناك-:

- «يا سامع الصوت -ويا سابق الفوت- ويا كاسي العظام لحماً بعد الموت».

- وسمعنا أيضاً في دعائهم استعمال «رب الأرباب -ومسبب الأسباب والمتفرد بتصريف الأمور والأحوال».

- وسمعنا «المتقدس والمتنزه عن النقائض والأضداد ورافع السبع الشداد... ».

وأيضاً سُمع في دعائهم استعمال: «المطلع على سرّ القلوب ومكنون الفؤاد».

- فإذا فهمت هذه النقطة. زال الإشكال المنقول عن الإمام أحمد رحمه الله حيث قال لرجل ودّعه قل: «يا دليل الحائرين دلني على طريق الصادقين واجعلني من عبادك الصالحين».

وتحيّر في هذه النقطة الشيخ الفاضل بكر أبوزيد في كتابه معجم المناهي اللفظية (ص٢٦٣) فقال: «لم يظهر لي وجهه فليحرّر».

فأرجو الله سبحانه أني قد وفقت لتحريره فله الحمد كله ولا أحصيه...

(كتاب الأخ سعيد القحطاني: شرح الأسماء الحسنى)

الحمد لله أما بعد:

فالأخ الكريم سعيد القحطاني أسعد الله حظّه وبارك في علمه وعمله آمين -اللهم صلّ على محمّد- كتب رسالته القيّمة في شرح الأسماء الحسنى.

فاستفدت من كتابه القيم وأشرت أن لي عليه ملاحظات لطيفة متواضعة وها أنا أنبه عليها لتتم الفائدة لمن اطلع على كتابه القيم وهذه الملاحظات هي:

الملاحظة الأولى:

اختار الأخ القحطاني حفظه الله مما ثبت عنده في الكتاب والسنة من الأسماء الحسنى

تسعة وتسعين وترك بعض ما ثبت أنه من الأسماء، وترك أيضاً الأسماء التي توقف فيها هو أو توقف فيها فضيلة الشيخ الجليل عبدالعزيز بن باز رحمه الله رحمة واسعة.

- وهذا ما أخالفه فيه فالأولى: أن يسجل جميع ما ورد في الكتاب والسنة لأنه من جملة توحيد المعرفة والإثبات أو توحيد الأسماء والصفات والذي نحتاج إليه معرفة وإيماناً ودعاءً وتوكلاً فتأمّل.

فإن ذِكرها وشَرْحها والإيمان والدعاء بها كل ذلك توحيد وإيمان.

- ولرب اسم تركه هو من التسعة والتسعين المرغب في إحصائها.

الملاحظة الثانية:

- عد من أسماء الأفعال -التي على وزن فاعل- الأسماء التالية:

القادر ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِّن فَوْقِكُمْ﴾ الأنعام. وهو في السياق مرتبط ببعث العذاب على الكفار.

القاهر ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُم حَفَظَةً﴾ الأنعام.

الرازق ﴿وَالله خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ الجمعة. وهو هنا بصيغة الجمع مع صيغة التفضيل.

الكافي ﴿أَلَيْسَ الله بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ الزمر. وهو هنا مرتبط بكفاية العبد.

- ولم يعدّ مثل: الفاطر ﴿الْحَمْدُ لله فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ فاطر.

الفالق ﴿فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾ الأنعام.

الغالب ﴿وَالله غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾ يوسف.

الناصر ﴿بَلِ الله مَوْلاَكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾ آل عمران.

الصادق ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وِإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ الأنعام.

- فما هو الضابط في هذا؟ وإذا كانت هذه جاءت مقيدة في السياق فإن الأولى جاءت مثلها تماماً؟!.

أما اسم (الشاكر) فقد جاء مستقلاً ﴿وَكَانَ اللهُ شَاكِراً عَلِيماً﴾.

وكذلك (الهادي) جاء شبه ذلك ﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِياً وَنَصِيراً﴾.

الملاحظة الثالثة:

عدّ من الأسماء مضافاً إلى (السماوات والأرض):

- نور السماوات والأرض. (النور).
- بديع السماوات والأرض (البقرة والأنعام).

بينما لم يعد - فاطر السماوات والأرض (فاطر).

- رب السماوات والأرض (الصافات).
- عالم غيب السماوات والأرض (فاطر).
- والذي أراه والله أعلم أن هذا موضع للاجتهاد في التمييز بين التسمية وبين الإخبار والوصف، وذلك بحسن استعمال الضوابط المتقدمة في الكتاب، والتوفيق من الله سبحانه.

الملاحظة الرابعة:

عدّ من الأسماء المضافة إلى (ذي): (ذو الجلال والإكرام) فقط.

ولم يعد الباقي مثل: ذو المعارج ﴿مِّنَ اللهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾ المعارج.

- ذو الطول ﴿ذِي الطَّوْلِ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ غافر.
- ذو الفضل ﴿وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ البقرة وغيرها.

وغيرها أيضاً، فما هو الضابط وما هو الفرق؟

- فالضابط الرئيسي هو نفس الضابط في الأسماء كلها وهو مجيئها مستقلّة في المعنى والسياق القرآني أو السنة النبوية.

الملاحظة الخامسة:

عدّ أيضاً من المضافات إلى الأسماء الجامدة أو المصدر أو الجمع: (جامع الناس)

ولم يعدّ:

- غافر الذنب (غافر).
- قابل التوب (غافر).
- شديد العقاب (غافر).
- رفيع الدرجات (غافر).
- شديد المحال (الرعد).
- سريع الحساب (إبراهيم).
- سريع العقاب (الأنعام).

وغيرها من المضافات التي جاءت في السنة.

وهي أولى بالعد من (جامع الناس) معنىً ولفظاً وفي كيفية ورودها أيضاً في السياق.

والصحيح أن هذه جميعها ليست من الأسماء الحسنى وإن جاز الدعاء بها كما تقدم في التعقيب المتواضع على كتيب الأخ العصيمي...

الملاحظة السادسة:

وهي أسماء صحيحة بيقين ولم يعدّها الأخ القحطاني رغم ورودها في القرآن الكريم، وهي مستثناة من المضافات السابقة ألا وهي:

إسمان ثابتان متشابهان وهما:

- عالم الغيب.

- علاّم الغيوب.

وقد جاء الأول واضحاً في عدّ الأسماء الحسنى في سورة الحشر ويجوز أن نضيف إليه لفظ (الشهادة) كما جاء في نفس السورة وغيرها.

والثاني مثله بل هو أبلغ منه لوجود صيغة المبالغة (علاّم) على وزن «فعّال» وهي أبلغ من (عالم) على وزن «فاعل».

وقد جاء الثاني في قوله تعالى ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ﴾ سبأ.

وفي قوله تعالى أيضاً ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ﴾ المائدة.

- ومما يصح عدّه من المضافات أيضاً اسم (مالك الملك) الوارد في قوله تعالى في سورة آل عمران ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾.

خاتمة:

هذا ما وفق الله لكتابته تعقيباً على الأخوين الحبيبين العصيمي والقحطاني وأظن أنه تتم به فائدة كتابيهما بارك الله فيّ وفيهما.

- وأيضاً فائدة بحثي الذي تجنّبت التفصيل العلمي البحثي فيه لأن منهجه الاختصار ومراعاة الناحية المعرفية الإيمانية في الأسماء الحسنى والصفات العلى.

وتجنبت فيه أيضاً التركيز على ناحية الخلاف العقائدي مع غير أهل السنة هداهم الله للحق والسنة رغم الإشارة الكافية لذلك.

- وما ذكرته من الملاحظات السابقة يأتي أيضاً بكل تواضع على تعداد «الحافظ ابن حجر» رحمه الله في تحقيقه الأسماء الحسنى في «تلخيص الحبير».

-فبينما عدّ من المضافات: -غافر الذنب - قابل التوب - شديد العقـاب - رفيـع الدرجات - سريع الحساب.

فإنه لم يعدّ: -شديد العذاب - شديد المحال - سريع العقاب.

- وعدّ من المضاف إلى (السـماوات والأرض): الفـاطر - البديـع - النـور، فقـط وترك غيرها.

- وعدّ أيضاً بعض أسماء الفاعل وترك بعضها.

- وأخطأ في عدّ (القائم) الذي استدلوا له بآيـة الشـهادة في آل عمـران: ﴿وَأُوْلُـواْ الْعِلْمِ قَائِمَاً بِالْقِسْطِ﴾ وآية سورة الرعد: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ وليس فيهما دلالة على أنه اسم من الأسماء الحسنى.

والحمد لله رب العالمين.